الفصل الثاني

غلاة الشيعة

مفهوم التأويل عندهم، أمثلة من منهجهم مناقشتهم

كما تقدم أن قلت قبل الحديث عن موضوع الفصل، لا بدّ من التعريف بالشيعة اعتماداً على ما جاء عنهم في جملة من المراجع[1].

ومن الأحسن أن أذكر معنى كلمة «الشيعة» لغة واصطلاحاً وذلك لأن المعنى اللغوي يضعنا أمام مدلول الكلمة في إطارها الأصلي، وفي منطلق استعمالها، والمعنى الاصطلاحي يضعنا أمام مدلول الكلمة في اصطلاح مؤرخي الفرق والمذاهب الإسلامية. وكيف استقرّ بها الأمر من حيث الدلالة إذا ما أطلقت.

فكلمة «الشيعة» لغة تأتي بمعنى الفرقة والجماعة، وفي هذا المعنى جاء قوله تعالىٰ: **﴿ثمّ لننزعنّ من كل شيعة أيّهم أشدّ على الرحمن عتياً﴾**[2] أي

---

(1) منها القديم، مثل (الفرق بين الفرق) و(الملل والنحل) و(المقدمة والتبصير في الدين) و(كشف اسرار الباطنية) و(فضائح الباطنية) و(تلبيس ابليس) لابن الجوزي البغدادي. ومنها الحديث مثل (تاريخ المذاهب الإسلامية) و (مباحث في علم الكلام والفلسفة) و (التفسير والمفسرون) للذهبي. و(التفسير ومناهجه في ضوء المذاهب الإسلامية) لمحمود بسيوني فودة. و(المدارس الكلامية بافريقية الى ظهور الاشعرية) وغيرها من المراجع والكتب التي تحدثت عن الفرق وهي عديدة.

(2) سورة مريم آية 69.

obeikandl.com

لننزعنّ من بين كل جماعة ضالّة أشدّ تكبّراً ونقدّمه للعذاب أولاً، ثم الأتباع ثانياً.

وقوله تعالىٰ: ﴿**وإن من شيعته لإبراهيم**﴾[2] أي ومن الجماعة التي اتفقت مع نوح عليه السلام في مبدئه، ابراهيم عليه السلام.

وتأتي بمعنى الأتباع والأنصار وفي هذا المعنى جاء قوله تعالىٰ: ﴿**هذا من شيعته وهذا من عدوّه فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه**﴾[2] أي فاستغاث موسى عليه السلام الإسرائيلي الذي هو من أتباعه وأنصاره على الذي ظلمه واعتدى عليه من أهل مصر. وبهذا المدلول اللغوي للكلمة تستعمل كلمة «الشيعة» ويراد بها كل جماعة تكون من أتباع وأنصار أحد من الناس، أو نحلة من النحل، أو مذهب من المذاهب.

وتجمع كلمة «الشيعة» على شيع ومنه قوله تعالىٰ: ﴿**ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الأولين**﴾[3].

وقوله: ﴿. . . **فرّقوا دينهم وكانوا شيعاً**﴾[4].

وعلى أشياع ومنه قوله تعالىٰ: ﴿**ولقد أهلكنا أشياعكم**﴾[5].

وكلمة (الشيعة) اصطلاحاً، فقد أجمع علماء الفقه والتوحيد والمؤرخون للفرق والمذاهب الإسلامية على تخصيص إطلاقها على أنصار الإمام علي ـ رضي الله عنه ـ وذريته.

قال أبو الحسن علي الجرجاني في كتابه «التعريفات»: الشيعة هم الذين

---

(1) سورة الصافات آية 83.
(2) سورة القصص آية 15.
(3) سورة الحجر آية 10.
(4) سورة الأنعام آية 159.
(5) سورة القمر آية 51.

obeikandi.com

شايعوا علياً ـ رضي الله عنه ـ وقالوا إنه الإمام بعد رسول الله ﷺ واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج عنه وعن أولاده(1).

وقال الشهرستاني في كتابه (الملل والنحل): الشيعة هم الذين شايعوا عليّاً ـ عليه السلام ـ على الخصوص، وقالوا بإمامته وخلافته نصّاً ووصاية، إما جليّاً وإما خفيّاً واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره أو بتقية من عنده(2).

وقال عبد الرحمن بن خلدون في مقدمته: اعلم أن الشيعة، لغة، هم الصحب والأتباع ويطلق في عرف الفقهاء والمتكلمين من الخلف والسلف، على أتباع علي وبنيه ـ رضي الله عنهم ـ(3).

وبعد بيان معنى «الشيعة» لغة واصطلاحاً، فمن الأكيد بيان متى ظهرت هذه الفرقة على مسرح الأحداث الإسلامية، عاطفياً وسياسياً، وعقائدياً.

وذلك لأن هذا التشيع لعلي وآل بيته من بعده قد استند على ثلاثة أنواع من العوامل: عوامل عاطفية، وعوامل سياسية، وعوامل عقائدية.

ـ فالعوامل العاطفية قد برزت منذ حياة الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ بعضها نبع وتعمق في المشاعر، لما خص به الإمام علي من حبّ الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ له، ومن حدبه عليه، والتنويه بشأنه، وبعضها تأصّل فيها وتركز لما امتازت به شخصية الإمام من عبقرية وعمق نظر، ومن غزارة علم، ومعرفة، ومن شجاعة ومضاء عزيمة، ومن عظيم تقوى، وصدق زهد.

فالإمام علي ـ رضي الله عنه ـ قد أحاطه الرسول ﷺ بحبّه وحدبه، حيث

---

(1) كتاب «التعريفات» ص 68 باب (الشين).
(2) كتاب «الملل والنحل» ج 1 ص 195 بهامش كتاب «الفصل في الملل والأهواء والنحل».
(3) كتاب «المقدمة» ص 175.

كفله وهو طفل، وزوجه ابنته فاطمة الزهراء ـ رضي الله تعالىٰ عنها ـ وهو شاب، كما أعلن التنويه بشأنه في عدة مناسبات، وفي جملة من الأقوال تقدّم ذكرها[1].

فهذا الحب من الرسول الأكرم، وهذا التنويه منه لعليّ جعل عوامل العطف والحبّ والمودة تنبع وتعمق في قلوب المؤمنين لعلي وآله منذ عهد الرسول عليه الصلاة والسلام، إلى يوم الدين.

ومما زاد هذا الحبّ والودّ عمقاً وتأصلاً في قلوب المؤمنين ما امتازت به شخصية الإمام عليّ من صفات جدّ جذّابة، ومن شمائل جدّ كريمة، قال الإمام يحيى بن أبي بكر العامري:

وتعداد فضائله ومناقبه ومكانته في العلم والفهم، والاستقامة والشهامة، والفراسة الصادقة في الكرامات الخارقة، وشدته في نصر الإسلام، ورسوخ قدمه في الإيمان، وسخائه وصدقته مع ضيق الحال، وشفقته على المسلمين، وزهده وتواضعه. وتفاصيل ذلك ـ باب واسع يحتمل مجلدات ـ.

وقد صنّف الحافظ الذهبي، وغيره في ذلك تصانيف نفيسة.

قال الإمام احمد بن حنبل والقاضي اسماعيل بن اسحاق، لم يرو في فضائل أحد من الصحابة بالأسانيد الحسان، ما روي في فضائل علي ـ رضي الله عنه ـ.

وقد روي أن ضراراً الصدي (وكان من أولياء علي) ألجأته ضرورة الحال آخراً حتى وفد على معاوية فقال له لمعاوية: صف لي عليّاً فقال: أعفني يا أمير المؤمنين، قال: لتصفنّه فقال (ضرار): كان والله بعيد المدى، شديد القوى، يقول فصلاً، ويحكم عدلاً ينفجر العلم من جوانبه، وتنطلق الحكمة من نواحيه، يستوحش من الدنيا وزهوتها، ويأنس بالليل ووحشته: وكان غزير العبرة طويل

---

(1) في ص 459 و 460 و 461.

الفكرة، يعجبه من اللباس ما قصر، ومن الطعام ما خشن، وكان فينا كأحدنا يجيبنا إذا سألناه، وينبئنا إذا استنبأناه، ونحن والله مع تقريبه إيانا وقربه منّا لا نكاد نكلّمه هيبة له، يعظّم أهل الدّين، ويقرّب المساكين، لا يطمع القوي في باطله، ولا ييأس الضعيف من عدله، وأشهد لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله، وغارت النجوم، قابضاً على لحيته يتململ تململ السّليم، ويبكي بكاء الحزين. ويقول: يا دنيا غرّي غيري، إليّ تعرّضت، أم إليّ تشوّفت، هيهات، هيهات قد طلّقتك ثلاثاً لا رجعة لي فيها. فعمرك قصير، وخطرك قليل، آه، آه، من قلّة الزّاد، وبعد السفر، ووحشة الطريق.

فبكى معاوية وقال: رحم الله أبا الحسن، كان والله كذلك، فكيف حزنك عليه يا ضرار؟ قال: حزن من ذبح ولدها في حجرها[1].

لهذه وتلك بدأ التشيع للإمام علي في لونه العاطفي، وبعنوان الحب والمودّة منذ العهد الأول للصحابة، ذكر(ابن أبي الحديد) الشيعي المعتدل في كتابه: «شرح نهج البلاغة»: أن من الصحابة الذين فضّلوا «عليّاً» على كل الصحابة «عمار بن ياسر» و«المقداد بن الأسود» و«أبا ذر الغفاري» و«سليمان الفارسي» و«جابر بن عبد الله» و«أبي بن كعب» و«حذيفة» و«بريدة» و«أبا أيوب الأنصاري» و«سهل بن حنيف» و«عثمان بن حنيف» و«أبا الهيثم بن التيهان» و«أبا الطفيل عامر بن وائلة» و «العباس بن عبد المطلب» وبنيه و «بني هاشم» كافة.

ويقول: «ابن أبي الحديد» و«ابن الزبير» كان من القائلين به في بدء الأمر، ثم رجع عنه. كما يذكر أن بعض «بني أمية» كانوا يرون هذا الرأي ومنهم «سعيد بن العاص».

ـ وأما العوامل السياسية فجذورها تمتد إلى وقت مبايعة أبي بكر الصديق ـ

---

(1) كتاب «الرياض المستطابة» ص 168 - 169.

رضي الله عنه ـ بالخلافة، فقد ذهب المؤرخون المسلمون إلى روايتين من الأخبار.

الرواية الأولى تقول: إن عليّ بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ بايع أبا بكر من أول الأمر، وممن ذهب إلى هذا ابن جرير الطبري، فقد جاء في كتاب «تاريخ الرسل والملوك» ما يلي:

حدّثنا عبيد الله بن سعيد الزهري قال: أخبرنا عمّي يعقوب بن ابراهيم قال: أخبرني سيف بن عمر، عن الوليد بن عبد الله بن أبي ضبية البجليّ قال: حدثنا الوليد بن جميع الزهري قال: قال عمرو بن حريث لسعيد بن زيد: أشهدت وفاة رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، قال: فمتى بويع أبو بكر؟ قال: يوم مات رسول الله ﷺ كرهوا أن يبقوا بعض يوم، وليسوا في جماعة، قال: فخالف عليه أحد؟ قال: لا، إلا مرتدّ، أو من قد كاد أن يرتدّ، لولا أن الله عزّ وجلّ ينقذهم من الأنصار، قال: فهل قعد أحد من المهاجرين؟ قال: لا، تتابع المهاجرون على بيعته من غير أن يدعوهم.

حدّثنا عبيد الله بن سعد قال: أخبرني عمّي، قال: أخبرني سيف عن عبد العزيز بن سياه عن حبيب بـن أبي ثابت قال: كان عليّ في بيته إذ أتي فقيل له: قد جلس أبو بكر للبيعة، فخرج في قميص ما عليه إزار ولا رداء ـ عجلاً ـ كراهية أن يبطىء عنها حتى بايعه، ثم جلس إليه. وبعث إلى ثوبه فأتاه فتجلّله، ولزم مجلسه[1].

وبعد ذكره لهذه الرواية التي اعتمدها فذكرها أولاً، ذكر الرواية التي تقول: إن عليّاً تخلف عن مبايعة أبي بكر مدة ستة أشهر أي بعد وفاة فاطمة الزهراء ـ رضي الله عنها ـ.

---

(1) تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك) ج 3 ص 207 ط الثالثة سنة 1382 هـ/ 1962 م نشر دار المعارف القاهرة.

وهذه الرواية ذهب ابن الأثير إلى اعتبارها أصحّ من الرواية الأولى، دون أن يذكر سنداً لاعتباره يؤيد ما ذهب إليه من اختيار وترجيح. فقد جاء في كتاب «الكامل في التاريخ» ما يلي: وقيل: لما سمع عليّ بيعة أبي بكر، خرج في قميص ما عليه إزار ورداءه فتجلّله. والصحيح أن أمير المؤمنين ما بايع إلا بعد ستة أشهر، والله أعلم.

وقيل: لما اجتمع الناس على بيعة أبي بكر أقبل أبو سفيان وهو يقول: إني لأرى عجاجة لا يطفئها إلّا دم يا آل عبد مناف، فيم أبو بكر من أموركم؟ أين المستضعفان؟ أين الأذلان؟ عليّ والعباس، ما بال هذا الأمر في أقل حيّ من قريش؟ ثم قال لعليّ: ابسط يدك أبايعك، فوالله لئن شئت لأملأنها عليه خيلاً ورجلاً، فأبى عليّ ـ عليه السلام ـ عليه فتمثل بشعر المتلمس.

ولن يقيم على خسف يـراد بـه ... إلّا الأذلّان عيـر الحيّ والـوتـد
هـذا على الخسف مربـوط بـرمتـه ... وذا يشـجّ فـلا يبكي لـه أحـد

فزجره عليّ و قال: والله ما أردت بهذا إلا الفتنة، وإنك والله طالما بغيت للإسلام شرّاً، لا حاجة لنا في نصيحتك[1].

وهذا القيل الأخير الذي رواه يضعف ما جاء في الرواية التي اختارها واعتبرها أصحّ الروايتين. وذلك لأن الإمام عليّ ـ رضي الله عنه ـ في هذا القيل الذي رواه ابن الأثير اعتبر ما قاله أبو سفيان ليس من باب النصيحة، وإنما هو إثارة للفتنة وإضرار بالإسلام والمسلمين.

ومن يكون هذا رأيه، لا ينازع في الخلافة، ولا يعمل على تمزيق شمل المسلمين، فيفارق الجماعة ويبقى مغاضباً، ولا يبايع من أجمع الناس على مبايعته. مدة ستة أشهر.

---

(1) (الكامل في التاريخ) لابن الأثير ج 2 ص 220 ط الرابعة سنة 1403 هـ/ 1983 م الناشر دار الكتاب العربي.

ورأيي في هذا الموضوع: أن كل من يتأمل في النصوص الثابتة الموثقة وخاصة في الحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه عن محمد بن كثير وهو:

عن محمد بن الحنفية قال: قلت لأبي: يا أبت أي الناس خير بعد رسول الله ﷺ ؟ قال: أبو بكر، قلت: ثمّ من؟ قال عمر، وخشيت أن أقول: ثم من فيقول: كذا، فقلت: ثمّ أنت. فقال: ما أنا إلا رجل من المسلمين[1].

وفي الحديث المتفق على صحته[2] وهو:

عن ابن عباس قال: إني لواقف في قوم، فدعوا الله لعمر بن الخطاب، وقد وضع على سريره إذا رجل من خلفي قد وضع مرفقه على منكبي يقول: يرحمك الله إن كنت لأرجو أن يجعلك الله مع صاحبيك، لأني كثيراً ما كنت أسمع رسول الله ﷺ يقول: كنت وأبو بكر وعمر، وفعلت وأبو بكر وعمر، وانطلقت وأبو بكر وعمر، فإن كنت لأرجو أن يجعلك الله معهما. فالتفتّ فإذا عليّ بن أبي طالب[3].

وفي الأثر الذي أورده الإمام يحيى بن أبي بكر العامري في كتابه «الرياض المستطابة» وهو: روى الإمام الحافظ العدل أبو الفضل احمد بن خيرون ـ رحمه الله ـ بسنده إلى الحسن البصري ـ رحمه الله ـ قال: لما قدم علينا عليّ بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ البصرة قام إليه ابن الكواء وقيس بن عباد فقالا له: ألا

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ باب (فضل أبي بكر بعد النبي ﷺ. فتح الباري ج 7 ص 20 وأخرجه البغوي في (شرح السنة) ج 14 ص 81 وعلق عليه بقوله: هذا حديث صحيح أخرجه محمد ـ يعني البخاري ـ عن محمد بن كثير.

(2) اخرجه البخاري في فضائل أصحاب النبي. باب قول النبي ﷺ: لو كنت متخذاً خليلاً. وباب مناقب عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه. وأخرجه مسلم في فضائل عمر ـ رضي الله تعالى عنه.

(3) أخرجه البغوي في (شرح السنة) وعلق عليه بقوله: هذا حديث متفق على صحته. وأخرجه مسلم عن اسحاق بن ابراهيم عن عيسى بن يونس. ج 14 ص 98.

تخبرنا عن سيرك هذا الذي سرت فيه، تستولي على الأمر وتضرب الناس بعضهم على بعض، أعهد من رسول الله ﷺ عهده إليك فحدّثنا به، فأنت الموثوق والمأمون على ما سمعت؟ فقال:

أما أن يكون عندي عهد من النبيّ ﷺ في ذلك فلا، والله لئن كنت أول من صدّق لا أكون أوّل من كذب عليه، ولو كان عندي عهد من النبيّ ﷺ في ذلك ما تركت أخا بني تيم بن مرّة وعمر بن الخطاب يقومان على منبره، ولقاتلتهما بيدي ولو لم أجد إلاّ بردتي هذه، ولكنّ رسول الله ﷺ لم يقتل قتلاً ولم يمت فجاءة، مكث في مرضه أياماً وليالي... يأتيه المؤذن فيؤذنه بالصلاة فيأمر أبا بكر فيصلّي بالناس، وهو يرى مكاني. ولقد أرادت امرأة من نسائه لصرفه عن أبي بكر فأبى وغضب وقال: «أنّكنّ صواحب يوسف. مروا أبا بكر فليصلّ بالناس».

فلما قبض الله نبيّه ﷺ نظرنا في أمورنا فاخترنا لدنيانا من رضيه ﷺ لديننا. وكان الصلاة أعظم شعار في الإسلام وقوام الدين فبايعنا أبا بكر، فكان أهلاً لذلك. لم يختلف عليه منّا اثنان، ولم يشهد بعضنا على بعض ولم نقطع البراءة. فأدّيت لأبي بكر حقّه.. وعرفت له طاعته، وغزوت معه في جنوده، وكنت آخذاً إذا أعطاني وأغزو إذا أغزاني، وأضرب بين يديه الحدود بسوطي، فلما قبض ولاّها عمر بن الخطاب، فأخذ بسنة صاحبه وما تفرق من أمره. فبايعنا عمر، لم يختلف عليه منا اثنان ولم يشهد بعضنا على بعض، ولم نقطع البراءة، فأديت إلى عمر حقه... وعرفت له طاعته، وغزوت معه في جنوده، وكنت آخذاً إذا أعطاني، وأغزو إذا أغزاني، وأضرب بين يديه الحدود بسوطي، فلما قبض ذكرت في نفسي قرابتي وسابقتي وفضلي... وأنا أظن أنه لم يعدل بي، ولكن خشي أن لا يعمل الخليفة بعده ذنباً إلا لحقه في قبره، فأخرج منه نفسه وولده، ولو كانت محاباة منه لآثر ولده وبرىء منها إلى رهط من قريش ستة أنا أحدهم.

obeikandl.com

فلما اجتمع الرهط تذكرت في نفسي قرابتي وسابقتي وأنا أظن أن لن يعدلوا بي، فأخذ عبد الرحمن مواثيقنا على أن نسمع ونطيع لمن ولّاه الله عزّ وجلّ أمرنا، ثم ضرب بيده على يدي عثمان فبايعه.

فنظرت في أمري فإذا طاعتي قد سبقت بيعتي، وإذا ميثاقي قد أخذ لغيري. فبايعنا عثمان. وأديت إلى عثمان حقه وعرفت له طاعته وغزوت معه في جيوشه، فكنت آخذ إذا أعطاني، وأغزو إذا أغزاني، وأضرب بين يديه الحدود بسوطي. فلما أصيب عثمان نظرت في أمري، فإذا الخليفتان اللذان أخذاها بعهد رسول الله ﷺ إليهما في الصلاة قد مضيا، وهذا الذي أخذ له ميثاقنا قد أصيب. فبايعني أهل هذين المصرين[1].

كل من يتأمل في الحديثين والأثر عميق التأمل، ويدرك ما كان عليه كبار الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ من عمق إيمان، وصدق إسلام، ومن مثالية تحلّوا بها فعلاً ـ عملاً وسلوكاً ـ إلى مستوى جعلهم ملازمين لطاعة الله ورسوله، ولاتباع طريق الحق لا يحيدون عنه ولو قيد أنملة لا يسعه إلا أن يرجح ما جاء في الرواية الأولى عما جاء في الرواية الثانية، وذلك لأن الإمام علياً ـ رضي الله عنه ـ أتقى من أن يخرج عن إجماع المسلمين الذي قال فيه تعالىٰ: ﴿**ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبيّن له الهدى ويتّبع غير سبيل المؤمنين نولّه ما تولّى ونصله جهنّم وساءت مصيراً**﴾[2].

وقال فيه عليه الصلاة والسلام ـ ما ثبتت روايته كما يلي:

عن ابن عباس يرويه قال: قال رسول الله ﷺ: «من رأى من أميره شيئاً

---

(1) كتاب «الرياض المستطابة» ص 170 - 172.

(2) سورة النساء آية 115.

يكرهه، فليصبر، فإنه ليس أحد يفارق الجماعة شبراً فيموت إلا مات ميتة جاهلية»[1].

وعن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من فارق الجماعة، وخرج من الطاعة فمات فميتته جاهلية ـ الحديث»[2] وعن عرفجة، عن النبي ﷺ قال: «من خرج على أمتي وهم مجتمعون يريد أن يفرّق بينهم فاقتلوه كائناً من كان»[3].

فالإمام علي أتقى من أن يخرج عن إجماع المسلمين، وهو أسمى وأرفع من أن يقدّم نفسه عن أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ وينازعه الخلافة وهو يعلم يقين العلم، أن رسول الله ﷺ يفضّله ويقدّمه على سائر الصحابة، كما يعلم يقين العلم حسب ما رواه هو بنفسه، وشهد به أن رسول الله ﷺ كان لا يقدّم أحداً من صحابته على أبي بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ.

ثم العوامل السياسية هذه، وإن كانت تمتدّ جذورها إلى وقت مبايعة أبي بكر بالخلافة كما قلت، فقد برزت بشيء من الوضوح، وبطابع من الإلحاح في أواخر خلافة سيدنا عثمان ـ رضي الله عنه ـ حيث وجدت طوائف من الناقمين على الإسلام الذين يكيدون لأهله ويعيشون في ظلّه، وكان أولئك يلبسون لباس الغيرة على الإسلام، وقد دخلوا في الإسلام ظاهراً، وأضمروا الكفر باطناً، فأخذوا يشيعون السوء عن سيدنا عثمان، ويذكرون علي بن أبي طالب بالخير،

---

(1) (2) (3) هذه الأحاديث الثلاثة اخرجها البغوي في «شرح السنة» ج 10 ص 47 - 52 - 55 وعلّق على الأول بقوله: هذا حديث متفق على صحته (اخرجه البخاري في الأحكام: باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية، وفي الفتن: باب قول النبي ﷺ سترون بعدي أموراً تنكرونها، ومسلم في الإمارة: باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن). وعلّق على الثاني بقوله: هذا حديث صحيح أخرجه مسلم («رقم 1848» في الامارة: باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن. وفي كل حال. وتحريم الخروج على الطاعة ومفارقة الجماعة). وعلّق على الثالث بقوله: هذا حديث صحيح اخرجه مسلم. (رقم «1852» في الامارة: باب حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع).

وينشرون روح النقمة في البلاد، ويتخذون مما يفعله بعض الولاة ذريعة لدعايتهم، وكان الداعية الكبرى، والمروج لمقالة السوء نحو ولاة الخليفة عثمان ـ رضي الله عنه ـ ثم نحو الخليفة نفسه، هو عبد الله بن سبأ اليهودي اليمني الذي تظاهر بالإسلام لمحاربته من الداخل[1].

واكتمل بروز هذه العوامل في مذهب سياسي بجميع أبعاده في بداية الصّراع بين عليّ ومعاوية حيث يذهب أنصار الإمام عليّ إلى أنه أحقّ بالخلافة من معاوية، وكان المسلمون وقتها يتفاوتون في مدى تحمّسهم لعليّ وانتصارهم له، وإن كانوا يؤمنون جميعاً بأن معاوية لم يكن جادّاً حينما غضب لمقتل عثمان، بل اتّخذ هذا القتل ذريعة لتعكير الجوّ في وجه عليّ حتى تحين له الفرصة، ويفتكّ الخلافة له، وقد ساعدته الظروف وتمّ له ما أراد، وما خطّط له.

ـ والعوامل العقدية، فهي وإن كانت كل الفرق الإسلامية، لا تجعل فاصلاً بين اتجاهها السياسي، واتجاهها العقدي، فإن الشّيعة يذهبون إلى أن التشّيع عقيدة دينيّة جوهريّة حيث يتفقون كما قال ابن خلدون: (ومذهبهم ـ يعني الشيعة ـ جميعاً متّفقين عليه أن الإمامة ليست من المصالح العامة التي تفوّض إلى نظر الأمة، ويتعيّن القائم بها بتعيينهم، بل هي ركن الدين، وقاعدة الإسلام، ولا يجوز للنبيّ إغفاله ولا تفويضه الى الأمة، بل يجب عليه تعيين الإمام لهم ويكون معصوماً من الكبائر والصغائر، وأن عليّاً ـ رضي الله عنه ـ هو

---

(1) هناك من شكّك في وجود شخصية عبد الله بن سبأ، وفي الدور الخطير الهدام الذي قام به، مثل طه حسين، ولكنه تشكيك لا يقوم على سند نقلي موثوق به، ولا على دليل عقلي مسلم به وإنما يقوم على الشك من أجل الشك، وهذا ما يجعل أسلوب الشك الذي أضاع طه حسين جلّ وقته من أجله، ليس من الشك العلمي الذي يراد به الوصول إلى الحقيقة كالشك الذي اعتمده الغزالي ثم ديكارت من بعده، وإنما هو من الشك الذي يراد به محاربة الحقيقة وجحودها.
ولمزيد الاطلاع على ما دار حول شخصية (ابن سبأ) أشير بالرجوع الى كتاب «مباحث في علم الكلام والفلسفة» للدكتور علي الشابي من ص 39 الى ص 62 ط الأولى دار بو سلامة للطباعة والنشر والتوزيع ـ تونس.

الذي عيّنه ـ صلوات الله وسلامه عليه[1].

وفي هذا الإطار العاطفي، السياسي، العقدي، تكوّنت فرق الشيعة، وتعدّدت، وقد أوصلهم مؤرخو الفرق الى عشرين فرقة بمن فيهم الغلاة والمعتدلون، ومن بين من حصرهم في هذا العدد صاحب كتاب «الفرق بين الفرق» الذي قال في تعدادهم، وفي الحكم عليهم ـ حسب نظره وتعليله ما يلي:

وأما الروافض، فإن السبئية منهم أظهروا بدعتهم في زمان عليّ ـ رضي الله عنه ـ فقال بعضهم لعليّ: أنت الإله، فأحرق عليّ قوماً منهم، ونفى ابن سبأ الى ساباط المدائن، وهذه الفرقة ليست من فرقة أمة الإسلام، لتسميتهم عليّاً إلهاً.

ثم افترقت الرافضة ـ بعد زمان عليّ ـ رضي الله عنه ـ أربعة أصناف: زيدية، وإمامية، وكيسانية، وغلاة. وافترقت الزيدية فرقاً، والإمامية فرقاً، والغلاة فرقاً. كل فرقة منها تكفر سائرها.

وجميع فرق الغلاة منهم خارجون عن فرق الإسلام، فأما فرق الزيدية، وفرق الإمامية، فمعدودون في فرق الأمة.

وافترقت النجّارية بناحية الريّ بعد الزعفراني فرقاً يكفر بعضها بعضاً.

وظهر خلاف البكرية من بكر ابن اخت عبد الواحد بن زياد، وخلاف الضّرارية من ضرار بن عمرو، وخلاف الجهمية، من جهم بن صفوان، وكان ظهور جهم، وبكر، وضرار، في أيام ظهور واصل بن عطاء في ضلالته.

وظهرت دعوة الباطنية في أيام المأمون، من حمدان قرمط، ومن عبدالله ابن ميمون القدّاح، وليست الباطنية من فرق ملّة الإسلام، بل هي من فرق

(1) المقدمة من ص 175 - 176.

obeikandi.com

المجوس... وظهر في أيام محمد بن طاهر بن عبدالله بن طاهر[1] بخراسان خلاف الكراميّة المجسّمة.

فأما الزّيدية من الرافضة، فمعظمها ثلاث فرق، وهي الجارودية، والسليمانيّة ـ وقد يقال الجريرية أيضاً ـ والبترِيّة، وهذه الفرق الثلاث يجمعها القول بإمامة زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب في أيام خروجه. وكان ذلك في زمن هشام بن عبد الملك. والكيسانيّة منهم فرق كثيرة يرجع محصّلها إلى فرقتين: إحداهما تزعم أن محمد بن الحنفية حيّ لم يمت، وهم على انتظاره، ويزعمون أنه المهدي المنتظر. والفرقة الثانية منهم يقرّون بإمامته في وقته، وبموته، وينقلون الإمامة بعد موته إلى غيره، ويختلفون بعد ذلك في المنقول إليه. وأما الإمامية المفارقة للزيدية والكيسانيّة والغلاة فإنها خمس عشرة فرقة، وهي المحمدية، والباقرية، والناووسية، والشّميطية، والعمارية، والاسماعلية، والمباركية، والموسوية، والقطعية، والاثنا عشرية، والهشامية من أتباع الهشام بن الحكم، أو من أتباع هشام بن سالم الجواليقي، والزرارية، من أتباع زرارة بن أعين، واليونسية من أتباع يونس القمي، والشيطانية من أتباع الطّاق، والكامليّة من أتباع أبي كامل وهو أفحشهم قولاً في عليّ وفي سائر الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ.

فهذه عشرون فرقة من الروافض منها ثلاث زيدية، وفرقتان من الكيسانية، وخمس عشرة فرقة من الإمامية.

فأما غلاتهم الذين قالوا بإلهية الأئمة، وأباحوا محرّمات الشريعة، وأسقطوا وجوب فرائض الشريعة ـ كالبيانية، والمغيرية، والجناحية، والمنصورية، والخطابية، والحلولية، ومن جرى مجراهم ـ فما هم من فرق

---

(1) هو الأمير محمد بن عبد الله بن طاهر بن الحسين الخزاعي، كان جواداً عالماً جيّد الشعر مات سنة (253 هـ).

الإسلام وإن كانوا منتسبين إليه(1).

والذي يهمّنا من هذه الفرق ـ حسب موضوع الفصل ـ دور الغلاة منهم الذين اتّخذوا تأويل آي القرآن منهجاً تآمرياً، وطريقاً خداعياً لخدمة مذاهبهم الضالة، ونحلهم المنحرفة ولترويج ضلالتهم الآثمة، في أوساط البسطاء من الناس الذين يسهل التأثير عليهم والتغرير بهم.

وسوف أقتصر على أخطر فرقة من فرق الغلاة، وهي فرقة الباطنية الذين اتخذوا منهج التأويل الضال سندهم الأقوى في نشر ضلالهم، وفي ترويج إفكهم، وفي التلبيس على الناس، وغايتهم من التأويل، هدم الشرائع عموماً، وهدم شريعة الإسلام على الخصوص فكان التأويل عندهم أقوى معول لهدم الإسلام من داخله، وتلك غايتهم من التأويل. أي محاربة الإسلام بصفة خاصة، حيث هو الدين الوحيد الذي بقي يحارب بصدق وعن بيّنة الإلحاد والملاحدة ويلفت أنظار الناس إلى شريعة الله ويعمل على نشر هديه بينهم بواسطة القرآن المنزّل من عند الله. وبواسطة سنّة نبيّه المبيّنة له.

ومن هنا يتبيّن لهم خطره عليهم وعلى إلحادهم، فأفردوه بالمحاربة، وهادنوا غيره من الأديان الأخرى، حيث في واقع أمرها ـ بعد تحريفها وتبديلها وتغييرها، والابتعاد بها عن المصدر الذي جاءت منه، وعن الغاية التي هدفت إليها ـ ما هي إلا طقوس من صنع بعض البشر الذين استجابوا للهوى، واتبعوا الشهوات، لا يخشاها الملاحدة ولا يخافون منها على إلحادهم، بل يستعينون بما فيها من زيغ وانحراف، ومن إفك وضلال على تركيز إلحادهم ونشره.

والباطنية(2) سموا بهذا الاسم لقولهم بباطن القرآن دون ظاهره أو لقولهم بالإمام الباطن المستور.

---

(1) (الفرق بين الفرق) ص 16 - 17.

(2) وإن غلب عليهم هذا اللقب فمؤرخو الفرق، وأصحاب البحث والتدقيق ذكروا لهم ألقاباً سبعة =

ولقولهم بباطن القرآن دون ظاهره[1] كان تعاملهم مع القرآن هو التأويل فقط، ولكنه تأويل باطل ضال، يبطل ظاهر القرآن، ويحكّم في باطنه الهوى الضال، والشهوات الآثمة.

وهذا يدلّ على أنهم ليسوا من المسلمين في شيء، بل هم منذ بدايتهم، ومنذ انطلاقهم التاريخي، حسب ما اتفق عليه مؤرخو الفرق ـ (جماعة من المجوس كانوا يحملون في باطنهم الحقد والعداء للإسلام، وقد رأوا أنه لا طاقة لهم بحمل السلاح ضدّ المسلمين بعد أن قويت شوكته، وأصبح المسلمون قوة لا تقهر. فرأوا أنهم لا بدّ وأن يسلكوا طريقاً آخر غير طريق المواجهة فلجأوا إلى

= زيادة عن هذا اللقب وهي: (الاسماعيلية) نسبة الى زعيم لهم يقال له محمد بن اسماعيل بن جعفر. و(السبعية) لأمرين: أحدهما اعتقادهم ان دور الامامة سبعة، وان الانتهاء الى السابع هو آخر الأدوار وهو المراد بالقيامة، وان تعاقب هذه الأدوار لا آخر له. والثاني لقولهم ان تدبير العالم السفلي منوط بالكواكب السبعة: زحل ثم المشتري، ثم المريخ، ثم الزهرة ثم الشمس، ثم عطارد، ثم القمر. و(البابكية) اسم لطائفة منهم تبعوا رجلا يقال له بابك الخرمي وكان من الباطنية. و(المحمرة) سمّوا بذلك لأنهم صبغوا ثيابهم بالحمرة في أيام بابك ولبسوها. و(القرامطة) نسبة الى رجل يقال له حمدان قرمط كان أحد دعاتهم في الابتداء فاستجاب له جماعة فسمّوا قرامطة وقرمطيّة. وقيل لسبب آخر يطول بيانه ليعود الى معنى قرمط. و(الخرمية). وخرّم بضمّ الخاء وتشديد الرّاء مفتوحة بوزن سكّر لفظ أعجمي ينبيء عن الشيء المستلذ المستطاب الذي يرتاح الإنسان له. ومقصود هذا الاسم تسليط الناس على اتباع اللذات وطلب الشهوات كيف كانت وطي بساط التكليف، وحط اعباء الشرع عن العباد، وقد كان هذا الاسم لقباً للمزدكية وهم أهل الاباحة من المجوس الذين اتبعوا في أيام قباذ وأباحوا النساء المحرمات وأحلّوا كل محظور، فسمّوا هؤلاء بهذا الاسم لمشابهتهم إياهم في نهاية هذا المذهب، وان خالفوهم في مقدماته. و(التعليمية) لقبوا بذلك لأن مبدأ مذهبهم إبطال الرأي وإفساد تصرف العقول، ودعاء الخلق الى التعليم من الإمام المعصوم، وإنه لا يدرك العلوم الا بالتعليم. (عن كتاب: تلبيس ابليس. للحافظ الإمام جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي البغدادي المتوفى سنة 597 هـ ص 102 - 106 عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه للمرة الثانية سنة 1347 هجرية إدارة الطباعة المنيرية. مطبعة النهضة بشارع عبد العزيز بمصر 1928.

(1) يقول أهل الباطن. (للقرآن ظاهر وباطن، والمراد منه باطنه دون ظاهره المعلوم من اللغة، ونسبة الباطن الى الظاهر كنسبة اللب الى القشر، والمتمسك بظاهره معذب بالشقشقة في الكتاب، وباطنه مؤد الى ترك العمل بظاهره.

أسلوب الاحتيال والنفاق كي يصلوا إلى مآربهم وأغراضهم، وهو هدم الإسلام من أساسه، وقد ظهرت بذور هذه الطائفة في عهد المأمون على يد جماعة كان على رأسهم ميمون القداح مولى (جعفر بن محمد الصادق) حيث اجتمع مع نفر من أصحابه ووضعوا مذهب الباطنية وأسسوا قواعده. وقد احتالوا للوصول إلى أغراضهم فادعوا الحبّ لآل البيت وتظاهروا بالولاء التام والموالاة لهم، ووصلوا أنسابهم بأنسابهم عن طريق آباء وأئمة مستورين، وتظاهروا بالحزن على ما فعل بأهل البيت.

وحرصاً منهم على أن تكون دعواهم في تأويل القرآن مقبولة لدى من يستخفونه من السذج البسطاء قالوا: (أن الأئمة هم الذين أودعهم الله سرّه المكنون، ودينه المخزون، وكشف لهم بواطن هذه الظواهر، وأسرار هذه الأمثلة، وأن الرشد والنجاة من الضلال بالرجوع إلى القرآن وأهل البيت، ولذلك قال عليه السلام لما قيل: ومن أين يعرف الحق بعدك؟ ـ«ألم أترك فيكم القرآن وعترتي؟». . وأراد به أعقابه فهم الذين يطلعون على معاني القرآن)(1).

ولكن أي رجوع للقرآن أرادوا؟ وأي احتماء بعترة الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ قصدوا؟.

أرادوا إفكاً، وقصدوا سوءاً، أرادوا الرجوع إلى القرآن ليحكموا فيه هواهم، ويستغلّوه لشهواتهم، بواسطة التأويل الذي حذّر منه القرآن بقوله: ﴿**فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتّبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله**﴾(2) وقصدوا الاحتماء بعترة الرسول الأكرم ليستدروا بهم عواطف عامة المسلمين نحوهم وحبّهم لهم. ويستغلوها لترويج ضلالاتهم، ولنشرها في الأوساط التي تتغلب فيها دوافع العواطف على عطاء التفكير، فكانت إرادتهم الأئمة

(1) فضائح الباطنية، لأبي حامد الغزالي ص 6 نسخة من مكتبة العطارين بتونس مسجلة تحت عدد33358 طبع ليدن 1916.
(2) سورة آل عمران آية 7.

obeikandl.com

مفضوحة، وقصدهم السيء مكشوفاً فلم ينخدع لأساليبهم الماكرة إلا بعض السذج البسطاء، ولم يقع في فخاخهم ـ عبر الأيام ـ إلا الذين يأسرهم الطمع ويقودهم بمختلف دوافعه إلى مراتعه، وإلا بعض الأغبياء الذين كثيراً ما تحجب عنهم عواطفهم الهوجاء نور العقل، وتعطل منهم طاقة التفكير.

وأما الذين على بيّنة من أمرهم، وعلى يقظة في أخذهم وعطائهم، فهم دائماً يسخرون منهم وكلما تمادوا في طرح شبهاتهم وفي نشر إفكهم ازدادوا تهكماً بهم، وسخرية منهم، وذلك بفضل صدق إيمانهم ووعيهم ويقظتهم من ناحية، وبفضل ما يقوم به علماء المسلمين من حماية القرآن الكريم من إفكهم ومن شبهاتهم وتأويلهم الضال، وذلك بتصديهم لهم بكل وسائل التصدّي لفضح كيدهم ، وتزييف شبهاتهم، ورد وإبطال ما كتبوا وأذاعوا ونشروا من تأويل وإلقاء خزي جميع ما صنعوا عليهم، من ناحية ثانية.

وقد أصبح من المعلوم لدى مؤرخي الفرق ، ولدى الباحثين المحققين أن الغرض الأول الذي تقوم عليه دعوة الباطنية وتتركز فيه، هو العمل على هدم الشرائع عموماً، وشريعة الإسلام على الخصوص.

وهذا ما يلمس بصورة واضحة جليّة سواء عند فرق الباطنية القدماء أو عند فرقهم المعاصرة. أما بالنسبة للقدماء منهم فيبرز ذلك في مقالات بعض رؤوسهم ودعاتهم، وفي تأويلاتهم المتفرقة هنا وهناك لبعض آي القرآن الكريم، حيث لا يوجد لهم تفاسير كاملة للقرآن، أو عمل متكامل في مجال التأويل.

ومن مقالات دعاتهم رسالة من عبيد الله بن الحسين القيرواني إلى سليمان بن الحسن بن سعيد الجنّابي. يذهب في بعض محاورها إلى بيان ما ينبغي على دعاتهم أن يقوموا به من تشكيك الناس في الكتب السماوية المنزّلة وفي مقدمتها القرآن. وفيما جاء به من عقيدة وشريعة وهداية، فيقول ـ موصياً

سليمان بن الحسن المخاطب بالرسالة ـ. . . وإني أوصيك بتشكيك الناس في القرآن والتوراة والزبور والإنجيل، وتدعوهم إلى إبطال الشرائع وإلى إبطال المعاد والنشور من القبور، وإبطال الملائكة في السماء وإبطال الجن في الأرض وأوصيك بأن تدعوهم إلى القول بأنه قد كان قبل آدم بشر كثير، فإن ذلك عون لك على القول بقدم العالم[1].

ويذهب في بعضها الآخر، إلى النيل من الرسل أصحاب الشرائع المنزّلة وإلى التشكيك في رسالاتهم، وإلى المسّ في مقامهم السّامي ـ لعنه الله ـ ببذاءة لسانه، وتفضيل مقام من أخزاه الله ـ كفرعون ـ على مقامهم فيقول ـ موجهاً وصيّته لمخاطبه ـ :

(. . . وينبغي أن تحيط علماً بمخاريق الأنبياء ومناقضاتهم في أقوالهم، كعيسى ابن مريم قال لليهود: لا أرفع شريعة موسى، ثم رفعها بتحريم الأحد بدلاً من السبت، وأباح العمل في السبت، وأبدل قبلة موسى بخلاف جهتها، ولهذا قتلته اليهود لما اختلفت كلمته، ولا تكن كصاحب الأمة المنكوسة حيث سألوه عن الروح فقال: ﴿الروح من أمر ربي﴾[2] لما لم يعلم ولم يحضره جواب المسألة، ولا تكن كموسى في دعواه التي لم يكن عليها برهان سوى المخرقة بحسن الحيلة والشعبذة، ولما لم يجد المحق في زمانه عنده برهاناً قال له: **﴿لئن اتخذت إلهاً غيري لأجعلنّك من المسجونين﴾**[3] وقال لقومه: **﴿أنا ربّكم الأعلى﴾**[4] لأنه كان صاحب الزمان في وقته[5].

وما جاء في هذه الفقرة ينبىء عن روح الماسونية، ويطرح وجهة نظرها

(1) الفرق بين الفرق ص 224.
(2) سورة الاسراء آية 85.
(3) سورة الشعراء آية 29.
(4) سورة النازعات آية 24.
(5) الفرق بين الفرق ص 224.

التي تهدف إلى محاربة الأديان السماوية بطرق خفية مخططة، وتنادي بعالمية لا مكان للأديان فيها. وبتعبير أدقّ ـ حسب هدف الماسونية وغايتهم ـ لا مكان للدين الإسلامي فيها، وهذا يدلّ على أن جذور الماسونية أقدم مما يتصور الناس اليوم، ومن ورائها تقودها في خفاء، وتدفعها بمكر، العنصرية اليهودية التي تحارب الإسلام بلا هوادة، وتناصبه العداء، وتضمر له الحقد، منذ نشأته وانبعاثه.

وهنا أبدي ملاحظة فأقول: إن اليهود في حقيقة أمرهم لم يحاربوا الإسلام وحده بعنصريتهم المقيتة، بل حاربوا بها أنفسهم وحاربوا بها أنبياءهم. وحرّفوا بها وبهواها الآثم شريعتهم التي جاءهم بها موسى ـ عليه السلام ، من قبل رسالة الإسلام وشريعته. وإلى محاربتهم لشريعتهم ينبّه القرآن فيقول: ﴿**فبما نقضهم ميثاقهم لعنّاهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرّفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظّاً مما ذكّروا به**﴾[1].

وإلى حقدهم على المؤمنين، وإلى عداوتهم التي لا تنتهي ما دام الصراع قائماً بين الحق والباطل، بين الخير والشرّ، يلفت القرآن انتباه المؤمنين فيقول: ﴿**لتجدنّ أشدّ النّاس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا**﴾[2].

بل معرفتهم للحق، وتحاملهم عليه، وعداوتهم لدين الله ولرسله، طبيعة متأصلة في نفوس الكثير منهم منذ وجودهم على مسرح الحياة، ومنذ بعث رسل الله إليهم. ووجودهم بينهم. وإلى هذا يشير القرآن، وينبّه أبصار أولي الألباب إليها فيقول: مخاطباً اليهود ومبيناً عنادهم وإصرارهم على الباطل، ومعلناً أن جزاءهم على ذلك الخزي وأليم العذاب: ﴿**ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان وإن يأتوكم**

---

(1) سورة المائدة آية 13.

(2) سورة المائدة آية 82.

أسارى تفادوهم وهو محرّم عليكم إخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردّون إلى أشدّ العذاب وما الله بغافل عمّا تعملون * أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفّف عنهم العذاب ولا هم ينصرون * ولقد آتينا موسى الكتاب وقفّينا من بعده بالرسل وآتينا عيسى ابن مريم البيّنات وأيدناه بروح القدس أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقاً كذّبتم وفريقاً تقتلون *﴾[1].

ويقول مبيّناً عصيانهم وتمردهم على نبيّهم ورسولهم موسى عليه السلام وهو بين أظهرهم واستبدالهم عقيدة الشرك والوثنية بعقيدة التوحيد: **﴿ولقد جاءكم موسى بالبيّنات ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون*﴾**[2].

ويقول مبيّناً أن لهذه الطبيعة المتأصلة فيهم، من تحاملهم على الحقّ وعداوتهم لدين الله ولتمسكهم بالباطل عناداً، ولاعتدائهم على الحق وأهله، لعنتهم أنبياؤهم من قبل: **﴿لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون﴾**[3].

والذي دفعني إلى هذه الملاحظة. هو ما جاء في الفقرة المتقدمة من وصية عبيد الله القيرواني من روح تنبىء ـ كما قلت ـ عن نحلة الماسونية، وتطرح وجهة نظرهم، والتي تدلّ دلالة واضحة أن اليهودية والباطنية والماسونية، تنحدر من مجرى واحد، وهو مجرى معاداة الأديان، والعمل على إزالة شرائع الله من الأرض ـ إن استطاعوا ـ وخاصة الدين الإسلامي، الذي جاء يحارب ضلالهم وإفكهم، ويفضح زيفهم للناس، فكرهوا ما جاء به من عقيدة سليمة،

---

(1) سورة البقرة آيات 85 - 87.
(2) سورة البقرة آية 92.
(3) سورة المائدة 78.

عقيدة جميع الأنبياء والمرسلين التي أزاحت عقيدة الشرك والوثنية، وستبقى تزيل ذيولها ورواسبها في بعض النفوس. ومن شريعة محكمة عملت وستبقى تعمل على نشر السماحة والعدل بين الناس، وقاومت وستبقى تقاوم الظلم بمختلف الوسائل التي تعين الناس على اتباع طريق الحقّ، وتجنبهم سبل الباطل. ومن هداية فتحت البصائر وستبقى تفتحها، وحررت النفوس، وستبقى تحررها، وسمت بالمشاعر والمواهب. وستبقى تسمو بها، وأزاحت الظلمات وستبقى تزيحها، وهيأت آفاق الكون لتقبل النور. وستبقى تهيئها.

كرهوا من الإسلام جميع ذلك لأنهم أعداء الحق وأنصار الباطل يحبون الظلام ويكرهون النور: ﴿**ويأبى الله إلا أن يتمّ نوره ولو كره الكافرون**﴾[1].

وبعد هذه الملاحظة أعود إلى ذكر بعض أمثلة من تأويلات الباطنية القدامى، فإنّهم ـ تماشياً مع غرضهم الأثم الذي هو العمل على هدم الشرائع عموماً، وشريعة الإسلام على الخصوص ـ اتجهوا إلى التأويل بهوس يثير الاشمئزاز، وبأساليب تدفع إلى التهكم والسخرية، حيث تجافي منطق اللغة، وتعادي منطق العقل.

فأوّلوا كلمات الشريعة في مجالات العبادة الواردة في الكتاب والسنّة، حسب هواهم، وحسب دوافع نحلتهم الضالة فقالوا: (الوضوء) عبارة عن موالاة الإمام و(التيمم) هو الأخذ من المأذون عند غيبة الإمام الذي هـو الحجة و(الصلاة) عبارة عن الناطق الذي هو الرسول بدليل قوله تعالىٰ: ﴿**إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر**﴾[2] و(الغسل) تجديد العهد ممن أفشى سرّاً من أسرارهم من غير قصد. وإفشاء السرّ عندهم على هـذا النحو هـو معنى (الاحتلام) و(الزكاة) عبارة عن تزكية النفس بمعرفة ما هم عليه من الدّين،

(1) سورة التوبة آية 32.
(2) سورة العنكبوت آية 45.

openkandil.com

و(الكعبة) النّبي و(الباب) عليّ، و(الصفا) هو النّبي و(المروة) عليّ، و(الميقات) الإيناس، و(التلبية) إجابة الدعوة، و(الطواف بالبيت سبعاً) موالاة الأئمة السبعة، و(الجنة) راحة الأبدان من التكاليف، و(النار) مشقّتها بمزاولة التكاليف[1].

وتأوّلوا أنهار الجنّة فقالوا: (أنهار من لبن) أي معادن العلم... اللبن العلم الباطن يرتضع بها أهلها، وتغذى بها تغذّياً تدوم بها حياتهم اللطيفة. فإن غذاء الروح اللطيفة بارتضاع العلم من المعلم، كما أن حياة الجسم الكثيف بارتضاع اللبن من ثدي الأم.

و(أنهار من خمر) هو العلم الظاهر، و(أنهار من عسل مصفى) هو علم الباطن المأخوذ من الحجج والأئمة[2].

وتمشياً معّ ضلالهم وإفكهم قد رفضوا معجزات الرسل، وأنكروا الاعتراف بها، كما أنكروا نزول ملائكة من السماء بالوحي من الله.

وتمادوا في هذا الأسلوب من الانكار، فأنكروا أن يكون في السماء ملك، وفي الأرض شيطان، وأنكروا آدم والدّجال، ويأجوج ومأجوج.

والذي سهل عليهم هذا الانكار، وسهّل عليهم إذاعته ونشره هو خلوّ قلوبهم من الإيمان بالحقّ وانحراف قلوبهم عن اتباع سبيله، ثم ركوبهم متن التأويل الذي اتخذوه معولاً للهدم، وانسيابهم مع مبدئهم الذي ساروا عليه في تفسيرهم، وهو إنكار الظاهر، والأخذ بالباطن، دون أن تكون لهم ضوابط لغوية مسلمة، أو موازين علمية يقبلها العقل السليم، ويطمئن لها القلب البصير. بل حسب الهوى، واستجابة للشهوات. فتأوّلوا (الملائكة) على دعاتهم الذين

---

(1) شرح المواقف للسيد الشريف ج 8 ص 390 مطبعة السعادة سنة 1907.
(2) فضائح الباطنية للغزالي ص 13.

يدعون إلى بدعتهم، وتأوّلوا (الشياطين) على مخالفيهم، وتأولوا كل ما جاء في القرآن من معجزات الأنبياء ـ عليهم السلام ـ فقالوا:

(الطوفان) معناه طوفان العلم، أغرق به المتمسكون بالسنة. و(السفينة) حرزه الذي تحصن به من استجاب لدعوته، و(نار ابراهيم) عبارة عن غضب نمرود عليه لا النار الحقيقية.

و(ذبح اسحاق) معناه أخذ العهد عليه. و(عصا موسى) حجته التي تلقفت ما كانوا يأفكون من الشبه لا الخشب. و(انفلاق البحر) افتراق علم موسى فيهم على أقسام. و(البحر) هو العلم. و(الغمام الذي أظلّهم) معناه الإمام الذي نصبه موسى لإرشادهم وإفاضة العلم عليهم. و(الجراد والقمل والضفادع) هي سؤالات موسى والتزاماته التي سلطت عليهم و (المنّ والسلوى) علم نزل من السماء لداع من الدعاة. هو المراد بالسلوى، و(تسبيح الجبال) معناه تسبيح رجال شداد في الدين، راسخين في اليقين، و(الجنّ الذين ملكهم سليمان بن داود) باطنية ذلك الزمان. و(الشياطين) هم الظاهرية الذين كلّفوا بالأعمال الشاقة. و(عيسى) له أب من حيث الظاهر، وإنما أراد بالأب المنفي: الإمام إذ لم يكن له إمام، بل استفاد العلم من الله بغير واسطة، زعموا ـ لعنهم الله ـ أن أباه يوسف النجار. و(كلامه في المهد) اطلاعه في مهد القالب قبل التخلص منه، على ما يطلع عليه غيره بعد الوفاة والخلاص من القالب. و(إحياء الموتى من عيسى) معناه الاحياء بحياة العلم عن موت الجهل بالباطن. و(ابراؤه الأعمى) عن عمى الضلال. و(الأبرص) عن برص الكفر ببصيرة الحقّ المبين. و(إبليس وآدم) عبارة عن أبي بكر وعلي. إذ أمر أبو بكر بالسجود لعلي والطاعة له فأبى واستكبر. و(الدجال) أبو بكر. وكان أعور إذ لم يبصر إلا بعين الظاهر، دون عين الباطن، و (يأجوج ومأجوج) هم أهل الظاهر.

وبعد عرض الإمام الغزالي لهذه الأمثلة من تأويلهم السخيف علّق على

ذلك بقوله: هذا من هذيانهم في التأويلات حكيناه ليضحك منها، ونعوذ بالله من صرعة العاقل، وكبوة الجاهل(1).

ومن تأويلاتهم التي يسخر منها العلماء، ويضحك منها العقلاء، ولا تروج حتى على الأغمار البسطاء ـ اللهم إلا من أضلّ طريق الهدى، فكان عبداً للهوى والشهوات ـ ما حكاه عنهم البغدادي في كتابه (الفرق بين الفرق) من أنهم يسيئون القول على الأنبياء ويصفونهم بأنهم (قوم أحبوا الزعامة. فساسوا العامة بالنواميس والحيل طلباً للزعامة بدعوى النبوّة والإمامة)(2).

وحكى البغدادي قصة تنبىء عن فشلهم في تمرير هذه المقولة إلى عقول من استدرجوهم لنحلتهم الضالة فقال: قال عبد القاهر: حكى لي بعض من كان دخل في دعوة الباطنية، ثمّ وفّقه الله تعالىٰ لرشده وهداه إلى حلّ إيمانهم: أنهم لما وثقوا منه بإيمانه قالوا له: إن المسمين بالأنبياء كنوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمّد، وكل من ادّعى النبوّة كانوا أصحاب نواميس، ومخاريق أحبّوا الزعامة على العامة، فخدعوهم بنيرنجات، واستعبدوهم بشرائعهم قال هذا الحاكي لي: ثم ناقض الذي كشف لي هذا السرّ بأن قال له: ينبغي أن تعلم أن محمد بن اسماعيل بن جعفر هو الذي نادى موسى بن عمران من الشجرة فقال له: ﴿**إني أنا ربّك فاخلع نعليك، إنك بالواد المقدس طوى**﴾(3) قال: فقلت سخنت عينك تدعوني إلى الكفر بالربّ القديم الخالق للعالم، ثم تدعوني مع ذلك ـ إلى الإقرار بربوبية إنسان مخلوق، وتزعم أنه كان قبل ولادته إلهاً مرسلاً لموسى؟ فإن كان موسى عندك ممخرقاً فالذي زعمت أنه أرسله. أكذب. فقال لي: إنك لا تفلح أبداً، وندم على إفشاء أسراره إليّ، وتبت عن بدعتهم(4).

ومن نوع هذه الإساءة، إساءتهم إلى الأخلاق، فإنهم ـ تركيزاً لنحلتهم

---

(1) فضائح الباطنية ص 13.
(2) الفرق بين الفرق ص 223.
(3) سورة طه آية 12.
(4) الفرق بين الفرق ص 229 - 230.

obeikandl.com

الضالة، ولنشرها بين عبيد الهوى، وأسرى الشهوات، أساءوا إلى الأخلاق الحميدة، ويسيئون إليها بما يدلّ على تفسّخهم وانحلالهم، وبأنهم قوم لا يؤمنون بأي فضيلة، ولا يدينون بأي مبدأ قويم. حيث ينادون بإباحية مطلقة، إباحية حيوانية هابطة، يستقذرها العقل، ويشمئز منها الذوق فيقولون ساخرين بالقيم والأخلاق، ومعرضين سفهاً بالرسول الأكرم الذي جاء داعياً إليها ومتمماً لها، بل ومنكرين للإلّه واليوم الآخر ـ وهو ما جاء في رسالة عبيد الله القيرواني حيث قال في آخرها: (وما العجب من شيء كالعجب من رجل يدعي العقل ثم يكون له أخت أو بنت حسناء، وليست له زوجة في حسنها فيحرّمها على نفسه، وينكحها من أجنبي، ولو عقل الجاهل لعلم أنه أحقّ بأخته وبنته من الأجنبي، وما وجه ذلك إلّا أن صاحبهم حرّم عليهم الطيبات وخوّفهم بغائب لا يعقل، وهو الإلّه الذي يزعمونه، وأخبرهم بكون ما لا يرونه أبداً من البعث من القبور، والحساب، والجنة، والنار، حتى استعبدهم بذلك عاجلاً، وجعلهم له في حياته ولذريته بعد وفاته خولاً[1] واستباح بذلك أموالهم بقوله: ﴿**لا أسألكم عليه أجراً إلا المودّة في القربى**﴾[2] فكان أمره معهم نقداً، وأمرهم معه نسيئة، وقد استعجل منهم بذل أرواحهم وأموالهم على انتظار موعود لا يكون، وهل الجنة إلا هذه الدنيا ونعيمها؟ وهل النار وعذابها إلا ما فيه أصحاب الشرائع من التعب والنصب في الصلاة والصيام والجهاد والحج؟)[3].

ومن تأويلهم الذي أرادوا به مجاوزة الأغمار من العامة إلى مستوى خطاب أهل العلم والمعرفة قولهم: إن من عرف معنى العبادة سقط عنه فرضها، وتأولوا في ذلك قوله تعالىٰ: ﴿**واعبد ربك حتى يأتيك اليقين**﴾[4] وحملوا اليقين على معرفة التأويل[5].

---

(1) الخول، بفتح الخاء والواو، الخدم والاتباع.
(2) سورة الشورى آية 23.
(3) الفرق بين الفرق ص 225.
(4) سورة الحجر آية 99.
(5) الفرق بين الفرق ص 224.

واتخذوا هذا منطلقاً واسعاً لترويج ما أرادوه، وخططوا له من إباحية مطلقة، ومن تفسّخ رذيل أكثر رذالة وهبوطاً مما عليه الحيوانات في أرذل أجناسها.

هكذا شأنهم في التأويل، وهكذا أسلوبهم في الدعـوة إلى نحلتهم الضالة، وهكذا منهجهم في التغرير بالأغمار البسطاء، بل وفي محاولة تمرير هذيانهم إلى أولي الذكر من العلماء.

وحمـاية القـرآن الكريم من هـذيانهم، وحمـاية المؤمنين من إفكهم وضلالهم، تصدّى لهم العلماء فكشفوا للناس عن مخططاتهم الماكرة، وعن أساليبهم الخادعة، وعن مذهبهم الضال ونحلتهم الملحدة.

ومن هذا التصدّي ـ زيادة عما تقدم بيانه وذكره ـ ما قام به العالم الفقيه محمد بن مالك اليماني فقد اندسّ فيهم وتظاهر باتباعهم، فعاش بينهم قصد أن يطّلع على ما عندهم من كتب كي يطلع الناس عليه، ويحذّرهم منه، عن علم ويقين، وعن بيّنة لا رجماً بالغيب، ولا اعتماداً على ما يروى عنهم، ويقال فيهم.

وبعد إطلاعه على ما عندهم أعلن للناس شهادته عنهم حتى لا ينخدعوا بهم فقال: اعلموا أيها الناس المسلمون ـ عصمكم الله بالإسلام وجنبنا وإياكم طرق الإثم، وأصلحكم وأرشدكم ووفقكم لمرضاته وسدّدكم ـ إني أسمع ما يقال عن هذا الرجل الصليحي ـ يريد علي بن محمد الصليحي زعيم باطنية اليمن في وقته ـ كما تسمعون، وما يتكلم به عليه من سيىء الإذاعة، وقبح الشناعة، فإذا قال القائل هو يفعل ويصنع، قلت: أنت تشهد عليه غداً، فيقول: ما شهدت ولا عاينت، بل أقول كما يقول الناس، فكنت أتعجب من هذا أولاً، ولا أكاد أصدّق ولا أكذّب ما قد أجمع عليه الناس، ونطقت به الألسن، فتارة أقول: هذا ما لا يفعله أحد من العرب والعجم، ولا سمع به فيما تقدّم في

سالف الأمم، إنما هذه عداوة له من الناس، للمآل الذي بلغه من غير أصل ولا أساس، وكنت كثيراً ما أسمعه يقول: (حكم الله لنا على من يظلمنا ويرمينا بما ليس فينا).

فرأيت أن ادخل في مذهبه لأتيقّن صدق ما قيل فيه، من كذبه، ولأطلع على سرائره وكتبه، فلما تصفحت جميع ما فيها، وعرفت معانيها، رأيت أن أبرهن على ذلك ليعلم المسلمون عمدة مقالته، وأكشف لهم عن كفره وضلالته، نصيحة لله وللمسلمين، وتحذيراً لمن يحاول بغض هذا الدين، والله موهن كيد الكافرين.

فأول ما أشهد به وأشرحه، وأبينه للمسلمين، وأوضحه، أن له نوّاباً يسميهم الدعاة المأذونين وآخرين يلقبهم المكلبين تشبيهاً لهم بكلاب الصيد، لأنهم ينصبون للناس الحبائل، ويكيدونهم بالغوائل، وينقبضون عن كل عاقل، ويلبسون على كل جاهل، بكلمة حق يراد بها الباطل، يحضونه على شرائع الإسلام من الصلاة والزكاة، والصيام، كالذي ينثر الحبّ للطير، ليقع في شركه، فيقيم أكثر من سنة يمعنون به، وينظرون صبره، ويتصفحون أمره، ويخدعونه بروايات عن النبيّ ـ ﷺ ـ محرّفة، وأقوال مزخرفة ويتلون عليه القرآن على غير وجهه، ويحرفون الكلم عن مواضعه، فإذا رأوا منه الإنهاك والركون والقبول والإعجاب بجميع ما يعلمونه، والإنقياد بما يأمرونه، قالوا حينئذ اكشف عن السرائر، ولا ترض لنفسك، ولا تقنع بما قنع به العوام من الظواهر، وتدبر القرآن ورموزه، واعرف مثله وممثوله، واعرف معاني الصلاة والطهارة، وما روي عن النبي ـ ﷺ ـ بالرموز والإشارة دون التصريح في ذلك بالعبارة، فإن جميع ما عليه الناس أمثال مضروبة للمثولات محجوبة، فاعرف الصلاة وما فيها، وقف على باطنها ومعانيها، فإن العمل بغير علم لا ينتفع به صاحبه. فيقول: عم أسأل؟ فيقول: قال الله تعالى: ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾[1] فالزكاة مفروضة في كل

(1) سورة البقرة آية 43 وآيات مثلها في مواطن أخرى من القرآن.

عام مرة، وكذلك الصلاة من صلّاها مرة في السنة فقد أقام الصلاة بغير تكرار، وأيضاً فالصلاة والزكاة لهما باطن لأن الصلاة صلاتان، والزكاة زكاتان، والصوم صومان، والحج حجان، وما خلق الله من ظاهر إلا وله باطن يدل على ذلك **﴿وذروا ظاهر الإثم وباطنه﴾**[1]، و: **﴿قل إنما حرّم ربّي الفواحش ما ظهر منها وما بطن﴾**[2].

ألا ترى أن البيضة لها ظاهر وباطن؟ فالظاهر ما تساوى به الناس وعرفه الخاص والعام، وأما الباطن فقصر علم الناس به عن العلم به فلا يعرفه إلا القليل، من ذلك قوله تعالىٰ: **﴿وما آمن معه إلا قليل﴾**[3] وقوله: **﴿وقليل ما هم﴾**[4] وقوله: **﴿وقليل من عبادي الشكور﴾**[5] فالأقل من الأكثر الذين لا عقول لهم.

والصلاة والزكاة سبعة أحرف، دليل على محمد وعلي ـ صلى الله عليهما ـ لأنهما سبعة أحرف فالمعني بالصلاة والزكاة ولاية محمد وعلي، فمن تولاهما فقد أقام الصلاة وآتى الزكاة، فيوهمون على من لا يعرف لزوم الشريعة والقرآن وسنن النبيّ ﷺ فيقع هذا من ذلك المخدوع بموقع الاتفاق والموافقة، لأنه مذهب الراحة والإباحة، يريحهم مما تلزمهم الشرائع من طاعة الله، ويبيح لهم ما حضر عليهم من محارم الله، فإذا قبل منهم ذلك المغرور هذا، قالوا له: قرّب قرباناً يكون لك سلماً ونجوى، ونسأل لك مولانا، يحط عنك الصلاة ويضع عنك هذا الإصر فيدفع اثني عشر ديناراً، فيقول ذلك الداعي: يا مولانا، إن عبدك فلاناً قد عرف الصلاة ومعانيها فاطرح عنه الصلاة، وضع عنه هذا

---

(1) سورة الأنعام آية 120.
(2) سورة الأعراف آية 33.
(3) سورة هود آية 40.
(4) سورة ص آية 24.
(5) سورة سبأ آية 13.

الإصر وهذا نجواه اثنا عشر ديناراً، فيقول: اشهدوا أني قد وضعت عنه الصلاة ويقرأ له: ﴿**ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم**﴾[1] فعند ذلك يقبل إليه أهل هذه الدعوة يهنئونه ويقولون: الحمد لله الذي وضع عنك: ﴿**وزرك، الذي أنقض ظهرك**﴾[2].

ثم يقول له ذلك الداعي الملعون بعد مدة: قد عرفت الصلاة وهي أول درجة وأنا أرجو أن يبلغك الله إلى أعلى الدرجات، فاسأل وابحث، فيقول: عم أسأل؟ فيقول له: سل عن الخمر والميسر اللذين نهى الله عنهما وهما أبو بكر وعمر لمخالفتهما على علي وأخذهما الخلافة دونه.

فأما ما يعمل من العنب والزبيب والحنطة وغير ذلك فليس بحرام لأنه مما أنبتت الأرض ويتلو عليه: ﴿**قل من حرّم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق**﴾[3] إلى آخر الآية.

ويتلو عليه: ﴿**ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا**﴾[4] إلى آخر الآية.

والصوم: الكتمان فيتلو عليه: ﴿**فمن شهد منكم الشهر فليصمه**﴾[5] يريد كتمان الأئمة في وقت استتارهم خوفاً من الظالمين. ويتلو عليه: ﴿**إني نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم إنسياً**﴾[6]. فلو كان عنى بالصيام ترك الطعام لقال: فلن أطعم اليوم شيئاً. فدل على أن الصيام الصموت.

فحينئذ يزداد ذلك المخدوع طغياناً وكفراً، وينهمك إلى قول ذلك الداعي

---

(1) سورة الأعراف آية 157.
(2) سورة الانشراح آية 2 - 3.
(3) سورة الأعراف آية 32.
(4) سورة المائدة آية 93.
(5) سورة البقرة آية 185.
(6) سورة مريم آية 26.

الملعون لأنه أتاه بما يوافق هواه والنفس أمارة بالسوء.

ثم يقول له: ادفع النجوى تكون لك سلماً ووسيلة حتى نسأل مولانا يضع عنك الصوم فيدفع اثني عشر ديناراً فيمضي به إليه فيقول يا مولانا: عبدك فلان قد عرف معنى الصوم على الحقيقة فأبح له الأكل برمضان. فيقول له: قد وثقته وأمنته على سرائرنا؟ فيقول له: نعم: فيقول: قد وضعت عنك ذلك.

ثم يقيم بعد ذلك مدة فيأتيه ذلك الداعي الملعون فيقول له: قد عرفت ثلاث درجات، فاعرف الطهارة ما هي ومعنى الجنابة ما هي في التأويل؟ فيقول: فسّر لي ذلك، فيقول له: اعلم أن الطهارة طهارة القلب، وأن المؤمن طاهر بذاته، والكفر نجس لا يطهره الماء ولا غيره. وأن الجنابة هي موالاة الأضداد، أضداد الأنبياء والأئمة فأما المني فليس بنجس منه خلق الله الأنبياء والأولياء وأهل طاعته، وكيف يكون نجساً وهو مبدأ خلق الإنسان، وعليه يكون أساس البنيان، فلو كان التطهير منه من أمر الدين لكان الغسل من الغائط والبول أوجب لأنهما نجسان.

وإنما معنى ﴿**وإن كنتم جنباً فاطهروا**﴾(1) معناه فإن كنتم جهلة بالعلم الباطن فتعلموا أو اعرفوا العلم الذي هو حياة الأرواح كالماء الذي هو حياة الأبدان. قال الله تعالىٰ: ﴿**وجعلنا من الماء كل شيء حيّ**﴾(2) وقوله: ﴿**فلينظر الإنسان مما خلق * خلق من ماء دافق**﴾(3). فلما سماه الله بهذا دلّ على طهارته، ويوهمون ذلك المخدوع بهذه المقالة: ثم يأمره ذلك الداعي أن يدفع اثني عشر ديناراً، ويقول: يا مولانا عبدك فلان قد عرف معنى الطهارة حقيقة، وهذا قربانه إليك. فيقول: اشهدوا أني قد حللت له ترك الغسل من الجنابة.

---

(1) سورة المائدة آية 6.

(2) سورة الأنبياء آية 30.

(3) سورة الطارق آيتا 5 - 6.

obeikandl.com

ثم يقيم مدة فيقول له هذا الدّاعي الملعون: قد عرفت أربع درجات وبقي عليك الخامسة. فاكشف عنها فإنها منتهى أمرك، وغاية سعادتك ويتلو عليه: ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرّة أعين﴾(1) فيقول له: ألهمني إياها. ودلّني عليها فيتلو عليه: ﴿لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد﴾(2) ثم يقول: أتحبّ أن تدخل الجنّة في الحياة الدنيا؟ فيقول: وكيف لي بذلك؟ فيتلو عليه: ﴿وإن لنا للآخرة والأولى﴾(3) ويتلو عليه: ﴿قل من حرّم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة﴾(4) والزينة ها هنا ما خفي على الناس من أسرار النساء التي لا يطلع عليها إلا المخصوصون بذلك وذلك بقوله: ﴿ولا يبدين زينتهن إلاّ لبعولتهنّ﴾(5). والزينة مستورة غير مشهورة، ثم يتلو عليه: ﴿وحور عين * كأمثال اللؤلؤ المكنون *﴾(6) فمن لم ينل الجنة في الدنيا لم ينلها في الآخرة لأن الجنة مخصوص بها ذوو الألباب وأهل العقول، دون الجهال، لأن المستجن من الأشياء ما خفي ولذلك سمّيت الجنة جنّة لأنها مستجنة، وسميت الجنّ جنّاً لاختفائهم على الناس، والمجنّة: المقبرة لأنها تستر من فيها. والترس: المجن لأنه يستتر به.

فالجنة ها هنا ما استتر عن هذا الخلق المنكوس الذين لا علم لهم. ولا عقول، فحينئذ يزداد هذا المخدوع انهماكاً ويقول لذلك الداعي الملعون: تلطّف في حالي، وبلّغني إلى ما شوّقتني إليه فيقول: ادفع النجوى اثني عشر ديناراً تكون لك قرباناً وسلماً، فيمضي به فيقول: يا مولانا: إن عبدك فلان قد

---

(1) سورة السجدة آية 17.
(2) سورة ق آية 22.
(3) سورة الليل آية 13.
(4) سورة الأعراف آية 32.
(5) سورة النور آية 31.
(6) سورة الواقعة آيتا 22 - 23.

صحّت سريرته. وصفت خبرته. وهو يريد أن تدخله الجنّة. وتبلغه حدّ الأحكام، وتزوجه الحور العين. فيقول له: وقد وثقته وأمنته. فيقول: يا مولانا قد وثقته وأمنته وخبرته فوجدته على الحقّ صابراً، ولأنعمك شاكراً. فيقول: علمنا صعب مستصعب لا يحمله إلا نبيّ مرسل، أو ملك مقرّب أو عبد امتحن الله قلبه بالإيمان. فإذا صحّ عندك حاله فاذهب به إلى زوجتك فاجمع بينه وبينها فيقول: سمعاً وطاعة لله، ولمولانا، فيمضي به إلى بيته فيبيت مع زوجته حتى إذا كان الصباح قرع عليهما الباب وقال: قوما قبل أن يعلم بنا هذا الخلق المنكوس، فيشكر ذلك المخدوع ويدعو له فيقول له: ليس هذا من فضلي، هذا من فضل مولانا فإذا خرج من عنده تسامع به أهل هذه الدعوة الملعونة فلا يبقى أحد إلا بات مع زوجته، كما فعل ذلك الداعي الملعون، ثم يقول له: لا بدّ لك أن تشهد المشهد الأعظم عند مولانا فادفع قربانك، فيدفع اثني عشر ديناراً ويصل به ويقول: يا مولانا إن عبدك فلان يريد أن يشهد المشهد الأعظم. وهذا قربانه، حتى إذا جنّ الليل ودارت الكؤوس وطابت النفوس أحضر جميع أهل هذه الدعوة الملعونة حريمهم فيدخلن عليهم من كل باب وأطفأوا السرج والشموع. وأخذ كل واحد منهم ما وقع عليه في يده ثم يأمر المقتدي زوجته أن تفعل كفعل الداعي الملعون وجميع المستجيبين. فيشكره ذلك المخدوع على ما فعل له، فيقول له: ليس هذا من فضلي، هذا من فضل مولانا أمير المؤمنين فاشكروه ولا تكفروه على ما أطلق من وثاقكم، ووضع عنكم أوزاركم، وحطّ عنكم آصاركم، ووضع عنك أثقالكم، وأحلّ لكم بعض الذي حرّم عليكم جهّالكم ﴿**وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظّ عظيم**﴾[1].

ثم ختم محمد بن مالك ـ رحمه الله تعالىٰ ـ شهادته الطويلة المبينة بتفصيل ما كان عليه القوم من ضلال وإفك، ومن تحلل وتفسّخ، ومن محاربة

---

(1) سورة فصلت آية 35.

للدين الإسلامي، ولما جاء به من عقيدة وشريعة وهداية. فقال: هذا ما اطلعت عليه من كفرهم وضلالتهم والله تعالىٰ لهم بالمرصاد، والله تعالىٰ عليّ شهيد بجميع ما ذكرته مما اطلعت عليه من فعلهم وكفرهم وجهلهم. والله يشهد عليّ بجميع ما ذكرته، عالم به، ومن تكلم عليهم بباطل فلعنة الله عليه، ولعنة اللاعنين والملائكة والناس أجمعين وأخزى الله من كذب عليهم، وأعدّ له جهنّم وساءت مصيراً، ومن حكى عنهم بغير ما هم عليه فهو يخرج من حول الله وقوته إلى حول الشيطان وقوته. فأدّيت هذه النصيحة إلى المسلمين حسب ما أوجبه الله على من حفظ هذه الشهادة. فإن الله سبحانه وتعالىٰ أمر بحفظ الشهادة ومراعاتها وأدائها إلى من لم يسمعها.

قال الله تعالىٰ: ﴿ستكتب شهادتهم ويسألون﴾[1].

والله أسأله أن يتوفانا مسلمين، ولا ينزع عنا الإسلام بعد إذ آتانا الله بمنّه ورحمته[2].

وفي بيان السبب الباعث لفرقة الباطنية على بدعتهم، وعلى التديّن بنحلتهم الضالة، وعلى شديد التمسّك بها، والعمل على نشرها بين الناس، قال ابن الجوزي البغدادي: اعلم أن القوم أرادوا الانسلال من الدين فشاوروا جماعة من المجوس والمزدكية والثنوية، وملحدة الفلاسفة، في استنباط تدبير يخفّف عنهم ما نابهم من استيلاء أهل الدين عليهم حتى أخرسوهم عن النطق بما يعتقدونه من إنكار الصانع، وتكذيب الرسل، وجحد البعث وزعمهم أن الأنبياء ممخرقون ومنمسون[3] ورأوا أمر محمد ﷺ قد استطار في الأقطار، وأنهم قد عجزوا عن مقاومته، فقالوا: سبيلنا أن ننتحل عقيدة طائفة من فرقهم،

---

(1) سورة الزخرف آية 19.

(2) كشف اسرار الباطنية وأخبار القرامطة لمحمد بن مالك اليماني، الطبعة الثانية سنة 1375 هـ 1955 م منشور في كتاب واحد مع التبصير في الدين للاسفراييني ص 192 - 196.

(3) ممخرقون أي مكذبون مموهون، ومنمسون، أي ملبسون على الناس الحقّ بالباطل.

أزكاهم عقلاً، وأتحفهم رأياً، وأقبلهم للمحالات والتصديق بالأكاذيب، وهم الروافض، فنتحصن بالانتساب إليهم، ونتودّد إليهم بالحزن على ما جرى على آل محمّد من الظلم والذلّ، ليمكننا شتم القدماء الذين نقلوا إليهم الشريعة، فإذا هان أولئك عندهم لم يلتفتوا إلى ما نقلوه فأمكن استدراجهم إلى الانخداع عن الدين، فإذا بقي منهم معتصم بظواهر القرآن والأخبار، أوهمناه أن تلك الظواهر لها أسرار وبواطن، وأن المنخدع بظواهرها أحمق، وإنما الفطنة في اعتقاد بواطنها، ثم نبثّ إليهم عقائدنا، ونزعم أنها المراد بظواهرها عندكم، فإذا تكثر بهؤلاء سهل علينا استدراج باقي الفرق.

ثم قالوا: وطريقنا ان نختار رجلاً ممن يساعد على المذهب، ويزعم أنه من أهل البيت، وأنه يجب على كل الخلق كافة متابعته، ويتعين عليهم طاعته لكونه خليفة رسول الله ﷺ والمعصوم من الخطأ والزلل من جهة الله ـ عزّ وجلّ ـ ثم لا تظهر هـذا الدعوة على القرب من جوار هذه الخليفة الذي وسمناه بالعصمة، فإن قرب الدار يهتك الأسرار وإذا بعدت الشقة، وطالت المسافة، فمتى يقدر المستجيب للدعوة أن يفتش عن حال الإمام أو يطلع على حقيقة أمره، وقصدهم بهذا كله، الملك والاستيلاء على أموال الناس، والانتقام منهم لما عاملوهم به من سفك دمائهم، ونهب أموالهم قديماً. فهذا غاية مقصودهم، ومبدأ أمرهم.

ثم قال ابن الجوزي: وللقوم حيل في استذلال الناس، فهم يميزون من يجوز أن يطمع في استدراجه ممن لا يطمع فيه. فإذا طمعوا في شخص نظروا في طبعه، فإن كان مائلاً إلى الزهد دعوه إلى الأمانة والصدق وترك الشهوات، وإن كان مائلاً إلى الخلاعة، قرروا في نفسه أن العبادة بله، وأن الورع حماقة. وإنما الفطنة في اتباع اللذات من هذه الدنيا الفانية، ويثبتون عند كل مذهب ما يليق بمذهبه. ثم يشككون فيما يعتقده فيستجيب لهم إما رجل أبله، أو رجل من أبناء الأكاسرة، وأولاد المجوس، ممن انقطعت دولة أسلافه بدولة الإسلام.

أو رجل يميل إلى الاستيلاء، ولا يساعده الزمان. فيعدونه بنيل آماله. أو شخص يحب الترّفع عن مقامات العوام، ويروم الاطلاع على الحقائق، أو رافضي يتديّن بسب الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ أو ملحد من الفلاسفة والثنوية والمتحيّرين في الدّين، أو من قد غلب عليه حبّ اللذات، وثقل عليه التكليف[1].

وبما تقدّم من تحليل وبيان، ومن أمثلة موضحة يتّضح بما لا مجال فيه للشكّ أن الباطنية القدامى ليست فرقة من فرق الإسلام، وإنما هي فرقة من الفرق الملحدة التي حاربت الأديان بصفة عامة والدين الإسلامي بصفة خاصة، واتخذت التأويل الضال خطّة منهجية في حربها، ومعولاً قويّاً تهدم به ـ حسب اعتقادها ـ ما ظنّت أنها قادرة على هدمه.

وجملة المبادىء التي نادت بها، وعملت على نشرها بأساليب مختلفة، حيث تنادي بها أحياناً جهرة عند أنماط من الناس، وأحياناً تسر بها خلسة وتقية، وبمكر ودهاء عند البعض الآخر. هي التالية:

ـ التشكيك في الأديان، وتركيز التشكيك، حول الدين الإسلامي وما جاء به من عقيدة، وشريعة وهداية.

ـ إنكار معجزات الأنبياء واعتبارها من الشعوذة والمخرقة.

ـ التهكم على الرسل ـ لتوهين أمر رسالتهم عن أتباع نحلتهم. والمبالغة في التهكم على محمد ﷺ بصفة خاصة.

ـ إنكار وجود الملائكة والشياطين، حسب التصور القرآني.

---

(1) (تلبيس ابليس) للحافظ الإمام جمال الدين ابي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي البغدادي المتوفى سنة 597 هـ عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه للمرة الثانية سنة 1347 هـ ادارة الطباعة المنيرية. (مطبعة النهضة بشارع عبد العزيز بمصر. 1928 ص 106 - 107.

ـ إنكار ما جاء في القرآن والسنة، من أخبار غيبيّة كيأجوج ومأجوج. والمسيح الدجال، ونزول المسيح عيسى ابن مريم.

ـ إنكار الحياة الاخرى وما يسبقها من بعث ونشور، ومن موقف الحساب، وغير ذلك من الإنكار للقضايا الغيبيّة التي أخبر بها القرآن.

ـ إنكار وجود الله، وهو قمّة سلسلة إنكارهم ـ عليهم اللعنة ـ.

ـ تزكية الفلسفة الدهرية المادية، وتركيز مذهبها في النفوس.

ـ محاربة الأخلاق، والدعوة إلى إباحية حيوانية مطلقة.

والغاية من جميع ذلك السيطرة على أغمار الناس البسطاء الذين يفضلون حياة اللهو، حياة الانغماس في الملذات الهابطة، حياة التخلص من المسؤولية التي هي رسالة الإنسان في الحياة. والتحرّر من القيود التي بها كان الإنسان إنساناً.

وأيضاً السيطرة على بعض من زنادقة العلماء، ومن الفلاسفة الماديين الطامعين في سعة الشهرة والنفوذ.

وبهذه السيطرة يصلون في النهاية ـ حسب تخطيطهم ـ إلى السلطة وافتكاك الحكم من أيدي المؤمنين، وإعادته إلى الملاحدة والكافرين.

ولجميع هذا حكم عليهم علماء المسلمين بالكفر والإلحاد.

وفي الحقيقة: العلماء لم يحكموا عليهم من أنفسهم، وإنما بلّغوا حكم الله عليهم، وعلى أمثالهم إلى الناس، فإنه سبحانه وتعالىٰ ـ قد وصف من لم يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر بالضلال البعيد. والضلال البعيد تعبير جامع للشرك، والإلحاد، والكفر، والزندقة، والفسق والنفاق، وهم قد تجمعت فيهم كل هذه الرذائل. قال تعالىٰ: ﴿ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه

ورسله واليوم الآخر فقد ضلّ ضلالاً بعيداً﴾[1].

كما وصفهم بأنهم هم الكافرون حقّاً، بل هم الكافرون حقّاً بمجرّد كفرهم ببعض الرسل، وإن آمنوا بالبعض الآخر. فقال ـ عزّ وجلّ ـ : **﴿الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرّقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً * أولئك هم الكافرون حقّاً وأعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً﴾**[2]. وهم كفروا بجميع الرسل، وصبّوا جام غضبهم ـ لعنهم الله ـ على محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ وعلى رسالته الخاتمة.

وقد حكم ـ سبحانه وتعالىٰ ـ بالكفر واللعنة والغضب المضاعف على كل من كفر بمحمد، وبالكتاب المنزّل عليه، بعد معرفتهم له، بأنه رسول الله إلى الناس كافة. ومع حكمه سبحانه وتعالىٰ ـ عليهم أخبر بأنهم بكفرهم هذا قد باؤوا بغضب على غضب وأن جزاءهم من الله عذاب مهين. فقال ـ مبيّناً ومحذّراً ومتوعداً ـ : **﴿ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدّق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين *بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغياً أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده فباءوا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين﴾**[3]. والباطنية ومن ورائهم اليهود يخططون ويدفعون، كفروا بمحمد ووصفوه بما يتبرّأ منه العقل، ولا يستسيغه الذوق السليم.

وقد كفرّ الله سبحانه وتعالىٰ، من نسب الألوهية لمخلوق فقال: **﴿لقد كفر الذين قالوا: إن الله هو المسيح ابن مريم﴾**[4]. وهم نسبوا الألوهية للإمام

---

(1) سورة النساء آية 136.

(2) سورة النساء آيتا 151 - 152.

(3) سورة البقرة آيتا 89 - 90.

(4) سورة المائدة آية 17.

المعصوم ثم نقلوها من إمام إلى إمام مما يدل على كفرهم المقيت، وعلى سخافة عقولهم وتبلّد أذهانهم، وظلامية رؤيتهم وتخلّف مداركهم، وافترائهم على أنفسهم وعلى الناس.

وقد حكم عزّ وجلّ على الذين يحلون لأنفسهم وللناس ويحرمون ـ حسب هواهم ـ بالكفر وعدم الهداية فقال: ﴿**إنما النّسيء زيادة في الكفر يضلّ به الذين كفروا يحلّونه عاماً ويحرّمونه عاماً ليواطئوا عدّة ما حرّم الله فيحلوا ما حرم الله زيّن لهم سوء أعمالهم والله لا يهدي القوم الكافرين**﴾[1].

وهم لم يقفوا عند المستوى الذي كان عليه الجاهليون زمن شركهم، فأحلوا لأنفسهم بعض الأشياء المحرّمة ـ حسب هواهم ـ بل تجاوزوه فنادوا بالإباحية المطلقة، الإباحية الحيوانية الهابطة، فأحلوا لأنفسهم. ولمن انخدع لهم فاتبع نحلتهم، جميع ما حرّم الله.

فواحد من هذه الرذائل يوجب الحكم بالكفر، فما بالك بها مجتمعة.

هذا بالنسبة للباطنية القدامى، وأما بالنسبة للباطنية الجدد وهم فرق عديدة تنتشر في العالم اليوم بأسماء عدّة قال محمد حسين الذهبي ـ مبيناً انتشار الباطنية الجدد في البلاد الإسلامية اليوم وتعدد ألقابهم ـ : .

إن الباطنية يعرفون بأسماء عدّة، وإنه لا تزال منهم بقيّة إلى يومنا هذا في كثير من بلاد المسلمين. . . فيوجدون بالهند ويعرفون بالبهرة أو الاسماعيلية، وزعيمهم آغا خان الزعيم الاسماعيلي المعروف. ويوجدون في بلاد الأكراد ويعرفون (بالعلوية) حيث يقولون عليّ هو الله. ويوجدون في تركيا ويعرفون (بالبكداشية) وفي مصر جماعة من البكداشية من أصل ألباني يقيمون في الجبل المعروف بالمغاوري. ويوجدون في بلاد العجم ويعرفون (بالبابية) ويوجدون

(1) سورة التوبة آية 37.

في فلسطين ويعرفون (بالبهائية) ومنهم جماعة في بلاد متفرقة، وتوجد بالهند فرقة أخرى من الباطنية هي القاديانية، وهي أحدث فرقهم عهداً، أو أقربها ظهوراً[1] ومن بين هذه الفرق سأتحدث عن البابية والبهائية فقط وذلك لأنهما بنيا مذهبهما على أساس عريض من التأويل الضال، ولهما فيه محاولات عديدة، بذلوا فيها جهداً كبيراً من التعسف والتزييف ومن قلب الحقائق. لإقناع أتباعهم من الأغمار البسطاء، ومن الذين يستجيبون بسهولة للهوى. ويبيعون الحق بالباطل طمعاً في الحصول على ما يقدم لهم من إغراءات مالية أو وظيفية، ومن متع رخيصة تدفع بهم في مراتع اللهو، وفي أحضان الرذيلة، وتلك ما يرغبون ولغيرها من الجد والفضيلة لا يلتفتون.

وقبل أن أقدم أمثلة من تأويلاتهم، وما فيها من افتراء على الحق، ومن تحريف لكلام الله عن مواضعه، ومن استخفاف بعقول من يسمع لهم، ويتأثر بأقوالهم. أذكر ما جاء في التعريف بهم بصورة إجمالية:

فالبابية: نسبة إلى الباب، وهو لقب ميرزا علي محمد الذي ابتدع هذه النحلة، وإليه تنسب هذه الطائفة، باعتباره المؤسس الأول لها.

والبهائية: نسبة إلى بهاء الله، وهو لقب ميرزا حسين علي، الزعيم الثاني للبابية، وإليه تنسب هذه الطائفة باعتباره المؤسس الثاني لها.

وأصل نشأة هذه الطائفة: أن ميرزا علي محمد، الملقب بالباب[2]

---

(1) التفسير والمفسرون للذهبي ج 2 ص 253.

(2) جاء في كتاب «التفسير ومناهجه في ضوء المذاهب الإسلامية» أن هذا اللقب لم يبتكره ميرزا علي محمد فقد كان معروفاً عند الاسماعيلية وكان يعني الشيخ أو (الأساس)... وان ميرزا علي محمد لما بلغ من العمر الخامسة والعشرين ادعىٰ انه المهدي المنتظر وكان اعلانه بهذه الدعوة سنة 1260 هـ فأيده كثير من طائفة تدعى (الشيخية) وهي طائفة انشقت عن التشيع الاثني عشري حيث ان هذه الطائفة ترى ان المهدي المنتظر سيوجد بالولادة وليس شخصاً مختفياً عن الأنظار. (الكتاب المذكور ص 172).

والمولود في سنة 1235 هـ توفي عنه والده ميرزا محمد رضا قبل فطامه، فربّي في حجر خاله ميرزا سيد علي ونشأ معه في مدينة شيراز بجنوب إيران، واشتغل معه بالتجارة، ولما بلغت سنّه الخامسة والعشرين ادعى أنه الباب - والباب عند الشيعة معناه نائب المهدي المنتظر - وكان ادعاؤه هذا في سنة 1260 هجرية، وما لبث أن وصلت هذه الدعوة إلى طائفة من الجاهلين، فصدّقوا بها، وتتابعوا عليها، وكان عدد من صدّقه في أول الأمر ثمانية عشر رجلاً، فسمّاهم بكلمة (حيّ) لأن عدد حرفيها بحساب الجمل ثمانية عشر، ثم أمر أتباعه هؤلاء بالانتشار في إيران وبلاد العراق، يبشرون به وبدعوته، وأوصاهم بكتمان اسمه حتى يظهر هو بنفسه. ولما حجّ وفرغ من أعمال الحجّ أعلن دعوته في المجمع الكبير فاشتهر اسمه وذاعت دعوته، فثارت عليه طوائف المسلمين، وقاموا في سبيل دعوته يحاربونها بكل الوسائل.

وقد عقد بعض الولاة بين العلماء وبين الباب، مناظرات أظهرت ما في دعوته من غواية وضلال، فكفّره بعض العلماء ورماه بعض آخر منهم بالجنون، فاعتقله الوالي في سجن شيراز، ثم في سجن أصفهان، ثم في طهران، ثم في أذربيجان.

وفي عهد السلطان ناصر الدين شاه اشتدت الخصومة بين البابيين ومخالفيهم، وقامت بينهم حرب طاحنة كان من نتائجها أن أمر الصدر الأعظم بقتل الباب، فعلق في ميدان مدينة تبريز وقتل رمياً بالرصاص، وذلك في سنة 1265 هجرية.

وبعد قتله اختلف أتباعه على أنفسهم في شأن من ينوب عنه، وظهرت من بعض أتباعه دعاوى مختلفة، من قبيل النبوة، والوصاية، والولاية، وأمثالها.

وظلّوا على هذا الأمر إلى أن حاول بعضهم اغتيال ناصر الدين شاه سنة 1268 هجرية انتقاماً لزعيمهم الباب، ولما خاب سعيهم وفشلوا في هذه

المؤامرة، أخذت الحكومة تضطهد زعماء البابيين، وتسوقهم إلى التحقيق، فقتل من قتل، ونفي من نفي، وكان من بين زعمائهم في هذا الوقت ـ وقت الاضطهاد ـ ميرزا حسين علي الملقب فيما بعد بـ(بهاء الله).

وقد ولد (بهاء الله) سنة 1233 هجرية وكان ابنه ميرزا عباس من كبار وزراء الدولة في وقته، فلما قام الباب واشتهر أمره صدّقه بهاء الله، فاشتد به أزر البابيين وكثرت جماعتهم.

ولما حدثت حادثة سنة 1268 هجرية، وهي محاولة اغتيال ناصر الدين شاه، قبض على بهاء الله وسجن نحو أربعة أشهر، ثم أفرج عنه وأبعد إلى العراق، فدخل بغداد سنة 1269 هجرية، ومكث بها اثني عشر عاماً، يدعو الناس إلى نفسه، ويزعم أنه هو الموعود به الذي أخبر عنه الباب. وكان يشير إليه بلفظ (من يظهره الله)، وهناك تجمع حوله بعض أتباعه الذين لحقوا به من البابيين، وتسموا حينئذ بالبهائيين، ووقعت بينهم وبين شيعة العراق فتنة كادت تفضي إلى قيام حرب أهلية بين الفريقين فقررت الحكومة العثمانية في ذلك الوقت إرسال بهاء الله إلى الآستانة، فأرسل إليها ومكث بها نحواً من أربعة أشهر، ثم نفي إلى آدرنه، ومكث بها نحواً من خمس سنوات، ثم نفي منها إلى عكة من بلاد الشام سنة 1285 هـ وبقي بها إلى أن مات سنة 1309 هجرية. فتولى رئاسة الطائفة ابنه عباس المولود سنة 1844 م والمتوفى سنة 1921 م والملقب (عبد البهاء)[1].

وبما تقدّم يتّضح أن البابية والبهائية، هما من فرق الباطنية، وامتداد لهم والدليل على ذلك أنهم يستعملون نفس الكلمات الاصطلاحية المذهبية التي استعملها الباطنية من قبل، وأنهم، كما سيتبين من الأمثلة التي سأذكرها لهم ـ يسلكون نفس مسلكهم في التأويل ويدينون بنفس مبدئهم الذي ساروا عليه، وهو اعتماء الباطن واسغلاله حسب الهوى، وترك الظاهر، وعدم الأخذ به، لأنه

(1) من كتاب (التفسير والمفسرون) للذهبي ج 2 ص 255 - 257.

يصادم غرضهم وغايتهم الآثمة، ولا يتماشى مع نحلتهم ومذهبهم الضال، قال الذهبي:

بالرغم من أن هذه الفرقة لم تظهر إلا قريباً، فإنا نجدها ليست بالفرقة المحدثة في عقائدها وتعاليمها، بل هي في الحقيقة ونفس الأمر وليدة من ولائد الباطنية، تغذّت من ديانات قديمة وآراء فلسفية، ونزعات سياسية، ثم درجت تحذو حذو الباطنية الأولى، وتترسم خطاهم في كل شيء، وتهذي في كتاب الله، فتأولته بمثل ما تأولوه، لتصرف عنه قلوباً تعلقت به ونفوساً اطمأنت إليه.

والذي يقرأ تاريخ الباطنية الأول، ويطلع على ما في كتبهم من خرافات وأباطيل[2] لا يسعه إلا أن يحكم بأن بروح الباطنية حلّت في جسم ميرزا علي، وميرزا حسين علي، فخرجت للناس أخيراً باسم البابية والبهائية.

تقوم دعوة قدماء الباطنية على إبطال الشريعة الإسلامية، وينفذون إلى عقول العامة بإظهارهم الحب والتشيّع، بل والانتساب إلى آل البيت، ثم يصلون إلى أهوائهم ومآربهم بصرفهم القرآن إلى معان باطنية لا يقبلها العقل، ولا تمت إلى الدين بسبب.

وعلى هذا الأساس قامت دعوة البابية والبهائية[2].

ولبيان أن البابية والبهائية ما هما إلا فرقة من فرق الباطنية وامتداد لهم جاء في كتاب (التفسير ومناهجه في ضوء المذاهب الإسلامية ما يلي:

بالرغم من وجود صلة بين البابية والبهائية بالمذهب الاثني عشري، فإن البابية والبهائية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالباطنية الاسماعيلية في مبادئها وعقائدها. فهي في حقيقة أمرها وليدة من ولائد الباطنية تغذّت من ديانات وتأثرت ببعض

(1) تقدم بيان هذه الخرافات والاباطيل في الأمثلة التي ذكرتها من تأويل الباطنية القدامى.
(2) التفسير والمفسرون، ج 2 ص 257.

الآراء الفلسفية، والنزعات السياسية وهي تقوم في أساسها على إبطال الشريعة الإسلامية كما هو حال الباطنية الاسماعيلية، وإذا كانت الباطنية فيها من يدعي النبوة لنفسه، أو يدعيها لغيره، فميرزا علي الملقب بالباب ادعى أيضاً النبوة وله كتاب اسمه (البيان) وقال في رسالة بعث بها إلى الشيخ محمد الألوسي صاحب تفسير (روح المعاني) دعاه فيها إلى مذهبه إذ قال له: (إنني أنا عبد الله قد بعثني الله بالهدى من عنده، ومن لم يدخل في دين الله مثله كمثل الذين لم يدخلوا في الإسلام).

وقد زعم أن شريعته ناسخة للشريعة الإسلامية فابتدع لأتباعه أحكاماً خالف بها أحكام الإسلام وقواعده، إذ جعل الصوم تسعة عشر يوماً من شروق الشمس إلى غروبها، وعيد الفطر عندهم هو يوم (النيروز على الدوام) وجاء في كتاب البيان (أيام معدودات وقد جعلنا النيروز عيداً لكم بعد إكمالها).

وقد سار على هذا المنوال تلميذه (بهاء الله) فهو يرى أيضاً: أن شريعته نسخت الشريعة الإسلامية، وقد جعل لأتباعه، الصلاة تسع ركعات في اليوم والليلة وجعل قبلتهم في الصلاة أينما يكون ميرزاً حسين: (بهاء الله) يقول لهم: (إذا أردتم الصلاة فولوا وجوهكم شطري الأقدس). وقال ابنه عباس: (يلزمنا التوجه إلى مركز معلوم، وهو مظهر الله) ومظهر الله في زعمهم هو هذا المسمى (بهاء الله).

وقد أبطلوا أيضاً فريضة الحج، وأوحى البهاء بهدم بيت الله الحرام عند ظهور رجل مقتدر من أشياعه.

ويعتقد البهائية بقدم العالم ففي كتاب «بهاء الله والعصر الجديد» وعلم بهاء الله أن الكون بلا مبدأ زمني، فهو صادر أبدي من العلة الأولى. وكان الخلق دائماً مع خالقه وهو دائماً معهم.

كما أنهم ينكرون المعجزات. بدعوى أنها غير معقولة[1].

وهنا أضيف بعض الملاحظات:

الأولى: حول ما ذهب إليه (بهاء الله) الملعون، من أن شريعته ناسخة لشريعة محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ فهذا الرأي لو كان الدعي (بهاء) يعقل ويفقه ما يقول لما صرّح به ولما قال: إن شريعته شريعة العته والإلحاد، ناسخة لشريعة الإسلام، لأن (الباب) الذي سبقه والذي هو خليفة له ـ خلافة معتوه لمعتوه ـ قد نسخ بشريعته المفتراة شريعة الإسلام من قبله. وهل المنسوخ ينسخ من جديد؟.

ولكن لغة المجانين، وهذيانهم، لا يخضعان لمقاييس، ولا يصدران عن منطق سليم، ولله في خلقه شؤون.

والثانية: حول رسالة (الباب) إلى الشيخ الألوسي، قال الذهبي:

ولا نعلم ماذا أجاب به الألوسي على هذه الرسالة، فإنني رغم ما قاله الذهبي ـ وأرجح أنه قاله بعد بحث واستقراء ـ افترض أمرين لعدم الاجابة ـ وهو الراجح إذ لو وقعت لانتشر خبرها كما انتشر خبر الرسالة ـ.

الأمر الأول: قد يكون الشيخ الألوسي رآها رسالة من معتوه، والمعتوه لا يلتفت إليه، ولا يعطى لهذيانه أي اعتبار.

الأمر الثاني: قد يكون رآها رسالة من ملحد، من ورائه ملاحدة آخرون يضمرون العداء لدين الله ولشريعة محمد ﷺ ويريدون من (البهاء) صنيعهم أن يجلب علماء المسلمين لحواره، حتى يذاع صيته، وينتشر أمر نحلته الضالة بين الناس. فلم يجبه، وذلك لمعاملته بنقيض مقصوده، ومقصود من وراءه من الملاحدة ومن المجوس الوثنيين.

(1) التفسير ومناهجه في ضوء المذاهب الإسلامية. ص 174 - 175.

ثم إن الشيخ الألوسي ـ رغم عدم التيقن من إجابته عن رسالة (الباب) فله رأي في (البابية) بصفة عامة، حيث يعتبرهم من غلاة الشيعة، ويحكم عليهم بالكفر ـ إذا ما اعتقدوا ما يقولون، وهذا الرأي له، نجده عند تفسيره لقوله تعالىٰ: ﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين﴾[1] ففي المحور قبل الأخير من تفسيره لهذه الآية قال:

وقد ظهر في هذا العصر[2] عصابة من غلاة الشيعة لقبوا أنفسهم (بالبابية) لهم في هذا الباب فصول يحكم بكفر معتقدها كل من انتظم في سلك ذوي العقول وقد كاد يتمكن عرقهم في العراق لولا همة واليه النجيب الذي وقع على همته وديانته الاتفاق، حيث خذلهم ـ نصره الله تعالىٰ ـ وشتت شملهم وغضب عليهم ـ رضي الله تعالىٰ عنه ـ وأفسد عملهم، فجزاه الله تعالىٰ عن الإسلام خيراً ودفع عنه في الدارين ضيماً وضيراً[3].

والثالثة: حول مقولة (علم بهاء الله أن الكون بلا مبدأ زمني فهو صادر أبدي من العلة الأولى. . .) فإنها تحمل نفس المعنى وتهدف إلى نفس الهدف الذي هدفت إليه مقولة: عبيد الله بن الحسين القيرواني إلى سليمان بن الحسن الجنابي وهي قوله: (. . . أوصيك بأن تدعو الناس إلى القول بأنه قد كان قبل آدم بشر كثير فإن ذلك عون لك على القول بقدم العالم)[4].

وهذا يدل أن البابية والبهائية ما هم إلا باطنية جدد هم امتداد للباطنية القدامى.

والرابعة: حول إنكارهم للمعجزات، فإنه ترديد لما ذهب إليه الباطنية

---

(1) سورة الأحزاب آية 40.

(2) يعني سنة 1261 هـ.

(3) روح المعاني. ج 22 ص 41.

(4) تقدم ذكر هذه المقولة في صفحة 482.

القدامى من إنكارهم لها.

وهذا يدل أيضاً على أنهم امتداد للباطنية القدامى، في ثوب جديد.

وبعد ما تقدم من تعريف بـ(البابية والبهائية) ومن بيان لأهدافهم وغايتهم من نحلتهم الضالة، أعود إلى ذكر أمثلة من تأويلاتهم توضح ما هم عليه من باطل وإفك، ومن ضلال وانحراف، ومن كفر وإلحاد، ومن هوس وهذيان، ومن تلاعب ـ أخزاهم الله ـ بالقرآن وبالعقول.

ـ من تأويلات (الباب) قد جاء في تفسيره لسورة يوسف ما يلي:

حول قوله تعالىٰ: ﴿**إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين**﴾(1).

يقول ما نصّه: (وقد قصد الرحمن من ذكر يوسف نفس الرسول، وثمرة البتول، حسين بن علي بن أبي طالب مشهوداً... إذ قال حسين لأبيه يوماً: إني رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم بالإحاطة على الحق لله القديم سجاداً... وأن الله قد أراد الشمس فاطمة، والقمر محمداً، والنجوم أئمة الحق في أم الكتاب معروفاً فهم الذين يبكون على يوسف بإذن الله سجداً وقياماً)(2).

وحول قوله تعالىٰ: ﴿**قال يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيداً إن الشيطان للإنسان عدو مبين**﴾(3) يقول ما نصّه:

(إذ قال علي يا بني لا تخبر مما أراك الله من أمرك، إخوتك ترحماً على الفهم وصبراً لله العلي، وهو الله كان عزيزاً حميداً. إن كنت تخبر من أمرك في بعض بما قضى الله فيك، فيكيدوا لك كيداً، بأن يتقلوا أنفسهم في محبة الله من

---

(1) سورة يوسف آية 4.
(2) التفسير والمفسرون للذهبي ج 2 ص 266.
(3) سورة يوسف آية 5.

دون نفسك الحق شهيداً، وأن الله لوجهك بدمك محمراً على الأرض بالحق على الحق صبيغاً.

وأن الله قد شاء كما شاء أن يراك مخضباً شعرك من دمك، ونفسك على الأرض على غير الحق لدى الحق قتيلاً. وجسمك على الأرض عرياً. وأن الله شاء كما شاء بأن يرى بناتك وحريمك في أيدي الكافرين أسيراً. . .)[1].

وحول قوله تعالىٰ: ﴿إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة إن أبانا لفي ضلال مبين﴾[2] يقول ما نصّه:

(. . . إذا قالوا. حروف لا إلّه إلا الله، وأن يوسف أحب إلى أبينا منا بما قد سبق من علم الله حرفاً مستسراً بالسر، مقنعاً على السر، محتجباً في سطر، غائباً في سرّ السر. مرتفعاً عما في الدنيا وأيدي العالمين جميعاً. وإنا نحن عصبة فيما أراد الله في شأن يوسف النبي محمد العربي حول السطر مسطوراً. وأن الله قد فضل أبانا بفضل نفسه، وقدر الله سر المستسر من سرّ أمره، بما في أيدي العالمين، بالكشف المبين على أهل النار على سر (الباء) ضلالاً. . .)[3].

أليس هذا التأويل من حيث المعنى يمثل تحريف كلام الله عن مواضعه، والافتراء على الله سبحانه وتعالىٰ بما ليس مراد منه. كما يمثل الهوس والتخريف إلى مستوى نوع سخيف من السخرية بأنفسهم، ومن التهكم بعقول من يتبعهم ويسمع إليهم.

ومن حيث المبنى يمثل التعسف في القول، والتعقيد في التعبير، والركاكة

---

(1) التفسير والمفسرون للذهبي ج 266.

(2) سورة يوسف آية 8.

(3) التفسير والمفسرون للذهبي ج 2 ص 266 وقد نقل هذا المثال والمثالين قبله من كتاب مفتاح باب الأبواب، لميرزا محمد مهدي خان ص 309 - 312 مطبعة المنار سنة 1321 هـ.

في النظم وهذا يدل على عجمة اللسان الذي نطق بهذا القول وبناه، وعلى عدم تذوقه وفهمه للغة الضاد، وأسرارها، وللغة القرآن وأبعادها، لغة القرآن التي تمتاز بعلو شأنها، وبسمو تعبيرها ونسجها، وبروعة نظمها، وبقرب وبعد معانيها، وبجلاء ودقة أسرارها.

وقد تحدّى بجميع ذلك أفصح الفصحاء وأبلغ البلغاء، وأنبه النبهاء، وأعلم العلماء. فما بالك بهؤلاء الذين لا يحسنون الكلام، ولا يفقهون القول.

ـ من تأويلات (بهاء الله) ما يراه أن ما ورد في القرآن من الصراط، والزكاة، والصيام والحج، والكعبة، والبلد الحرام، وما إلى ذلك، كله لا يراد به ظاهره، وإنما يراد به الأئمة[1] وفي هذا يقول في الكتاب (أي كتاب بهاء الله) : (قال أبو جعفر الطوسي: قلت لأبي عبد الله: أنتم الصراط في كتاب الله، وأنتم الزكاة، وأنتم الحج؟ قال: يا فلان... نحن الصراط في كتاب الله عز وجل، ونحن الزكاة، ونحن الصيام، ونحن الحج، ونحن الشهر الحرام، ونحن البلد الحرام، ونحن كعبة الله، ونحن قبلة الله، ونحن وجه الله)[2].

سؤال سخيف وإجابة أكثر سخافة منه، وتأويل لا يتقيد بلغة، ولا يحترم عقلاً ولا يؤمن بدين، أريد به محاربة دين الله، وشريعته.

ولما كانت الحياة الروحية في نظر البهاء هي الإيمان به، والموت الروحي هو تكذيب دعوته، فإنا نراه يقرر ذلك فيقول: (... منهم من قال: هل الآيات نزلت؟ قل: إي ورب السموات، قال: أين الجنة والنار؟ قل: الأولى لقائي، والأخرى، نفسك يا أيها المشرك المرتاب)[3].

---

(1) قد تقدم ان الباطنية القدامى رأوا مثل هذا الرأي وقالوا نفس المقولة.

(2) التفسير والمفسرون للذهبي ج 2 ص 267. نقله عن (كتاب بهاء الدين) ص 97 مطبعة السعادة سنة 1920.

(3) نفس المرجع والجزء والصحيفة.

وهل هناك هوس أشد من هذا الهوس؟ وهل هناك سخافة أشدّ قبحاً من هذه السخافة ؟ حيث لا يعترف بالبعث ولا بالجنة والنار، ويذهب في تأويله إلى أن الإيمان به هو الجنة، والكفر به وبنحلته هو النار.

ـ من تأويلات أتباعهم ودعاتهم الضالين أذكر ما يلي :

أولاً: ما ذهب إليه أبو الفضائل الجرفادقاني في كتابه المسمى بـ(الحجج البهية). فلإثبات ما يعتقده البهائيون من أن (بهاء الله) إمامهم الملعون ـ هو المظهر البشري الذي تجلى فيه الله بذاته المقدسة وحقيقته المجردة. . . وهي مقولة أخذوها من الضالين قبلهم من أصحاب الملل والنحل الضالة. مقولة تنبىء عن فقدان الرشد من قائلها وعن ضلال عقله، وتيه مداركه في الخرافات والأوهام.

لإثبات ذلك، سخّر كل ما عنده من مهارة في التعبير، وزخرف في القول، ومن جهد في صوغ جملة من الأدلة المنطقية ـ حسب رأيه ـ ومن البراهين العقلية ـ حسب اعتقاده ـ للتأثير والاقناع، ولكنه أضاع مهارته في تزيين الباطل، وخسر جهده في تأييد الباطل فقال: ـ تحت عنوان (المقدمة الثانية) ـ في بيان معنى التوحيد واختلاف الملل في فهمه وطريق إثباته ـ :

يا أهل البهاء، نوّر الله بصائركم بالأنوار الساطعة من بهاء وجهه. اعلموا أن الأمم بأجمعها اتفقت في الاعتراف بوحدانية ذات الله تعالىٰ. وإن اختلف العلماء في بيان مفهومها. . .

ثم قال: وأما أهل البهاء، وأصحاب السفينة الحمراء، الذين درسوا فنون حقائق التجريد من آثار القلم الأعلى، وتلقوا دروس التفريد من حفيف سدرة المنتهى، وتعلموا مسائل التوحيد في غرف مدارس الفردوس، من ألحان ربّهم الأبهى. يعتقدون أن الله تعالىٰ لما كانت ذاته غيباً منيعاً، وكنزاً خفياً، ومجرداً بحتاً في حقيقتها وكينونتها وهويتها، فلا يمكن أن توصف بشيء. . .

obeikandi.com

ثم قال: والمجرد لا يدرك بشيء من الحواس الخارجية، لينزع منها تلك الصورة الكلية. فإذا استحال إدراك المجرد بالحواس فيستحيل ويمتنع على العقل أن يعين له رسماً مخصوصاً ويخصص له اسماً أو وصفاً معلوماً، فيرجع كل ما يتخيّل في هذا المقام، إلى الأوهام الخيالية لا إلى الحقائق القطعية، والإدراكات الواقعية.

ولذا جاء في كلمات بعض أئمة الإسلام من فروع الدوحة النبوية، تبكيتاً للذين كانوا يتكلمون في الذات الإلّهية (كل ما ميزتموه بأوهامكم في أدقّ معانيه فهو مخلوق مثلكم ومردود عليكم) فإذا ثبت انسداد طريق معرفة الذات واستحالة البلوغ إلى إدراك كنهها. فقد خلق الله تعالىٰ لظهور تلك الذات المقدسة والحقيقة المجردة، نفساً كريمة من النفوس البشرية، وخصص لبروز أنوارها وآثارها جوهراً نفيساً من الجواهر المقدسة الإنسانية، ليكون عرشاً لسلطان ذاته، وأفقاً لإشراق أنوار تجلياته، ومظهراً لمكنون حقيقته، ومظهراً لغيب هويته، ومنزعاً لأسمائه وصفاته، ولساناً لتنزيل وحيه وإلهامه، ومصدراً لشرائعه وأحكامه، وصادعاً بآياته وبيناته ومبلغاً لأوامره ورسالاته، وبه يظهر في الرتبة الأولى والمقام الأول علم الله وحكمته، وقوته وقدرته، وسلطنته وعظمته ووحدانيته، وفردانيته، وإرادته ومشيئته، وجماله وجلاله، وفضله وكماله، ورحمته وأفضاله، فهو المسمى بجميع الأسماء العزيزة النازلة في الكتب الإلّهية، والمقصود من الأناشيد النبوية المضبوطة في الصحف السماوية، وهو روح الله النازلة، وكلمته الغالبة، ووجه الله الناظر، ويده المبسوطة، ولسان الله الناطق، وعينه الناظرة، وهو اللوح المحفوظ والقلم الأعلى، والأفق المبين، والمنظر الأبهى، وهو العرش العظيم، والكرسي الرفيع وجنّة المأوى، وسدرة المنتهى، وأيّاً ما تدعوا فله الأسماء الحسنى[1].

---

(1) كتاب: الحجج البهية لأبي الفضائل الجرفادقاني. ص 18 - 24 - 25 - 26 الطبعة الأولىٰ (سنة 1343 هـ/ 1925 م) ـ وذلك بإجازة المحفل الروحاني المركزي بمصر.

فهذه المقولة ـ رغم زخرفها القولي ـ مملوءة بالأكاذيب والمغالطات والتناقضات وبسخافة القول، وهوس التفكير. والمتأمل فيها يجد:

أولاً: الجملة الأولى منها تدل على الشعوذة، وعلى اسلوب الدراويش المجذوبين الذين اتخذوا لأنفسهم أشخاصاً تماثيل وأصناماً يعبدونها (يا أهل البهاء نوّر الله بصائركم بالأنوار الساطعة من بهاء وجهه).

ثانياً: الجملة الثانية منها، هي كذب على التاريخ، وافتراء على الواقع (اعلموا أن الأمم بأجمعها اتفقت في الاعتراف بوحدانية ذات الله تعالىٰ وان اختلف العلماء في فهم معناها، وبيان مفهومها، فإن الأمم الوثنية معترفة بوحدانية الله وفردانيته، كما تعتقد وتعترف بها الأمم اليهودية والنصرانية والإسلامية).

فالأمم في دنيا البشر، وفي عالم المشاهدة في حياة الإنسان لم تتفق على الاعتراف بوحدانية ذات الله، إذ:

منهم الموحدون، وهؤلاء أخبر الله عنهم بقوله: **﴿شهد الله أنه لا إلٰه إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط لا إلٰه إلا هو﴾**(1).

ووصفهم بقوله: **﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا﴾**(2).

ومنهم المشركون، وهؤلاء أخبر الله عنهم بقوله: **﴿وجعلوا لله شركاء الجنّ وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالىٰ عما يصفون﴾**(3) وبقوله: **﴿. . . . وما يتّبع الذين يدعون من دون الله شركاء إن يتّبعون إلا الظنّ**

---

(1) سورة آل عمران آية 18.
(2) سورة الحجرات آية 15.
(3) سورة الأنعام آية 100.

وإن هم إلا يخرصون﴾[1] وبقوله: **﴿وجعلوا لله شركاء قل سمّوهم أم تنبّئونه بما لا يعلم في الأرض أم بظاهر من القول بل زيّن للذين كفروا مكرهم وصدّوا عن السبيل ومن يضلل الله فما له من هاد﴾**[2].

وأبكتهم بقوله: **﴿قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذاً لابتغوا إلى ذي العرش سبيلاً * سبحانه وتعالىٰ عما يقولون علوّاً كبيراً*﴾**[3]. وبقوله: **﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله ربّ العرش عما يصفون﴾**[4].

ومنهم الملاحدة ـ ورغم أن الإلحاد وصف يشمل كل كافر، موحّداً كان أو مشركاً أو منافقاً ـ فالذين أعنيهم بهذه القسمة الثلاثية، هم الذين لا يؤمنون بالإلٰه، ولا بالحياة الآخرى، وهؤلاء يندرجون تحت أبعاد قوله تعالىٰ: **﴿وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن؟ أنسجد لما تأمرنـا وزادهم نفوراً*﴾**[5].

وقوله: **﴿قال فرعون وما ربّ العالمين * قال ربّ السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين * قال لمن حوله ألا تستمعون * قال ربكم وربّ آبائكم الأولين * قال إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون * قال ربّ المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون * قال لئن اتخذت إلٰهاً غيري لأجعلنك من المسجونين *﴾**[6].

وهذا المستوى من عقيدة النفي ومن جحود لعقيدة الإيمان الحقّ، هو ما نشاهد عليه اليوم أنماطاً من البشر هنا وهناك، يدّعون العلم والمعرفة، بل

---

(1) سورة يونس آية 66.
(2) سورة الرعد آية 33.
(3) سورة الإسراء آيتا 42 - 43.
(4) سورة الأنبياء آية 22.
(5) سورة الفرقان آية 60.
(6) سورة الشعراء آيات 23 - 29.

يدّعون التفوّق فيهما، وهم في مجال الإيمان لا يؤمنون بإلّه ولا بدين، ولا بحياة أخرى!.

فكيف يدّعي صاحب المقولة الضالة التي تمثّل التجديف، والتخريف، والهذيان، بأن كل الأمم موحدة.

فهذا الادعاء، وإن كان باطلاً لا يؤمن به العقل ولا يصدّقه الواقع فصاحبه ومدعيه لا يستحي منه، ولا مما جاء فيه من تجديف وتخريف وهذيان، لأن غايته من ذلك، تكذيب الأديان بل تكذيب الدين الإسلامي بصفة خاصة، فيما أخبر به، وفيما بنى عليه حساب الله لعباده يوم الجزاء على الإيمان والكفر، وعلى الشرك بمختلف أنواعه.

فالمؤمنون الموحدون، والمشركون الذين يجعلون مع الله إلّهاً آخر أو آلهة، والملاحدة الذين لا يؤمنون بوجود إلّه ولا بحياة غير هذه الحياة التي نحياها، لم يخل منهم المجتمع البشري الكبير في مسيرته الكبرى، لأن الصراع بين الإيمان والكفر، بين عقيدة التوحيد، وعقيدة الشرك، بين العقل المثبت للألوهية، والعقل النافي لها هو الخاصية المميزة للإنسان ولمسيرته في الحياة الدنيا. وبها تتجلى أبعاد حريته التي أرادها الله، والتي يشير إليها قوله تعالىٰ: ﴿**فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر**﴾[1] فبذرة الخلاف متأصلة في أعماق نفسية الإنسان، وهذا ما يوحي به قوله تعالىٰ: ﴿**ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون**﴾[2].

وقوله: ﴿**ولو شاء ربّك لآمن من في الأرض كلّهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين * وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله ويجعل**

(1) سورة الكهف آية 29.

(2) سورة المائدة آية 48.

الرجس على الذين لا يعقلون﴾[1] وقوله: **﴿ولو شاء ربّك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين * إلا من رحم ربّك ولذلك خلقهم. . . *﴾**[2].

وقوله: **﴿ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن يضلّ من يشاء ويهدي من يشاء ولتسألنّ عما كنتم تعملون *﴾**[3].

وبهذا فما جاء في مقولته المفتراة من أن جميع الأمم متفقة على عقيدة التوحيد لا فرق في ذلك بين الأمم الموحدة، وبين الأمم الوثنية المشركة، ادعاء باطل يرفضه تاريخ البشرية ولا يصدقه واقع الحياة، بل يرفضه العقل والنقل.

ومع ذلك فهو يتمادى في ادعائه، ويعمد إلى تأييده بالافتراء على الله، وبتأويل القرآن حسب هواه فيقول في صيغة تعبيرية مزخرفة بكلمات ذات رنّة: (وبهذه النكتة أيضاً تغرّدت ورقاء الهدى، وهدرت حمامة التقى، من غصون سورة الشورى بقوله تبارك وتعالىٰ: **﴿شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه﴾**[4].

فانظروا وفّقكم الله كيف اعتبر في الآية الكريمة ديانات الصابئة، والزردشتية، والموسوية، والنصرانية، والإسلامية، ديناً واحداً[5].

هكذا يفصل الآية الكريمة عن إطارها القرآني المفسر لها، وهو ـ حسب المراد من تمام الآية، ومن الآية الموالية لها ـ أن الله سبحانه وتعالىٰ، أبان لمحمد ﷺ أنه شرع له، ولأمته، من الدين ما شرع لنوح ومن بعده من أصحاب

---

(1) سورة يونس آيتا 99 - 100.
(2) سورة هود آية 93.
(3) سورة النحل آية 93.
(4) سورة الشورى آية 13.
(5) الحجج البهية لأبي الفضائل ص 28.

الشرائع وأولي العزم من الرسل، وهم نوح، وابراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد ـ عليهم الصلاة والسلام ـ الذين وصاهم وأمرهم بأن يجعلوا دين التوحيد الذي أوحى به إليهم وأمرهم به، قائماً دائماً ومستمراً، وأن يحفظوه من أن يقع فيه زيغ أو اضطراب وأن لا يتفرقوا فيه.

وبعد هذا البيان والتوصية والأمر. أوضح الحالة التي أصبح عليها المشركون عندما دعوا إلى التوحيد، فقد شقّ عليهم دعوتهم إليه، وإلى ترك عبادة الأصنام والأوثان، وأنهم لحالتهم المزرية هذه، حيث توارثوا عبادة الأصنام والأوثان كابراً عن كابر، ونقلوا ذلك عن الآباء والأجداد، إهداراً منهم لمعطيات العقل، وتمسكاً بخساسة التقليد، استحقوا التقريع والتوبيخ.

ثم ذكر بعد توضيح حالة المشركين أمام دعوة التوحيد، أنه سبحانه وتعالىٰ، إنما هدى المؤمنين إلى التمسك بالدين وبعقيدة التوحيد لأنهم اصطفاهم من بين خلقه، وهذا كله يستفاد من قوله تعالىٰ في تمام الآية: ﴿. . . **كبر على المشركين ما تدعوهم إليه الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب**﴾[1].

ثم أجاب في الآية الموالية عن سؤال قد يخطر بالبال. لماذا صار الناس متفرقين في الدين مع أنهم أمروا بالأخذ به وعدم التفرّق فيه؟ فقال: ﴿**وما تفرّقوا إلاّ من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم**﴾[2].

أي متى تفرقت الأمم إلا بعد ما تبيّن لهم الحقّ وعلموا أن الفرقة ضلالة، وأن اتّباعهم لغير دين الله اتباع للهوى وانقياد للشهوات، وقد فعلوا ذلك بغياً وتجاوزاً للحدود وطلباً للرياسة، وللحمية، حمية الجاهلية، التي جعلت كل طائفة تذهب مذهباً وتدعو إليه، وتقبّح ما سواه، طلباً للأحدوثة بين الناس

---

(1) سورة الشورى آية 13.
(2) سورة الشورى آية 14.

والسيطرة عليهم، وخلاصة ما جاء في الاجابة، أن الأمم قديمها وحديثها أمروا باتفاق الكلمة، وإقامة الدين وبلّغهم أنبياؤهم ذلك، وما اختلفوا إلا بعد ما جاءهم العلم بذلك، بغياً وحسداً، وعناداً، وحباً للرياسة، فذهبت كل طائفة إلى مذهب، وأنكرت ما عداه.

وهذا ما عليه الكافرون المشركون والملاحدة، وهذا شأنهم في الحياة ومع المؤمنين. ثم ذكر عزّ وجلّ، أن هؤلاء كانوا يستحقون العذاب المعجل على سوء أفعالهم ومسلكهم الضال، ولكن حكمته تعالىٰ اقتضت تأخيره ليوم معلوم فقال:

﴿**ولولا كلمة سبقت من ربّك لقضي بينهم**﴾ أي ولولا الكلمة السابقة من ربك بإنظار حسابهم وتأخيره إلى يوم المعاد لعجّل لهم العقوبة في الدنيا سريعاً بما دنسوا به أنفسهم من كبير الآثام وقبيح المعاصي.

ثم ذكر أن تفرّقهم في الدين باق في أعقابهم، مضافاً إليه الشك في كتابهم مع انتسابهم إليه فقال:

﴿**وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفي شكّ منه مريب**﴾(1).

أي وإن أهل الكتاب الذين كانوا في عهده ﷺ وورثوا التوراة والإنجيل عن السابقين لهم، في شكّ من كتابهم، إذ ليسوا على يقين من أمرهم وإنما هم مقلّدون لآبائهم وأسلافهم بلا دليل ولا برهان، وهم في حيرة من أمرهم وشكّ مريب، وشقاق بعيد.

ورغم هذا الإطار القرآني المفسّر للآية والمبيّن للمراد منها، يفصل الآية عن إطارها، ويؤولها حسب هواه ليؤيد نحلته الضالة، ومذهبه الإلحادي فيجعل المشركين الذين يجعلون مع الله إلّهاً آخر أو آلهة، والملاحدة الذين لا يؤمنون

---

(1) سورة الشورى آية 14.

obeikandi.com

بوجود إلّه موحدين لا فرق بينهم وبين المؤمنين الموحدين حقّاً.

وهذا منتهى السخافة والهذيان، ومنتهى الإفك والضلال.

ثالثاً: وصفه وبيانه لعقيدة البهائية، وهي باعترافه ـ حسب ما جاء في وصفه وبيانه ـ غير جديرة بأن يطلق عليها عقيدة، وإنما هي جملة من الأوهام، ومن التصورات السخيفة ومن الأقوال المتضاربة، ومن الافتراضات الوهمية، التي لا يقبلها عقل، ولا يتجاوب معها وجدان، ولا يسندها منطق، ولا يتقبلها ميزان.

فمن جهة أن الله عندهم في حقيقته لا يوصف بوصف، ولا ينعت بنعت، ولا يسمى باسم، وهذا معناه من حيث نتيجته المنطقية وحكم العقل، أن لا وجود لإلّه ـ تعالىٰ الله عما يقولون ـ.

ومن حيث الهدف والغاية للقوم من نحلتهم هذه، تكذيب القرآن الكريم الذي وصف الله بصفات، ونعته بنعوت، وسماه بأسماء.

ومن حيث التحدّث بعقيدتهم هذه، والاعلان عنها، خروج عن إجماع العقلاء الذين يعتّد بآرائهم، وبما آمنوا به عن يقين لا ريب فيه، وعن بيّنة من الأمر لا جدال فيها.

ومن جهة ثانية ـ حسب رأيهم السخيف ـ عندما تتجلى ذات الله المقدسة في هيكل بشري ويريدون بهذا الهيكل الذي حلّت وتجلّت فيه الذات الإلّهية المقدسة، (بهاءهم) يصبح حينئذ للإلّه صفات ونعوت، ويصبح له أسماء فيقول ـ مجهداً نفسه في إعطاء صبغة عقلية لأوهامه وخرافاته، وفي بيان أن نعت (الموحد) لا يعطى إلا لمن آمن (ببهائه) ـ :

فالمقصود من رجوع الحقيقة المقدسة، هو رجوع الذات الواحدة من جميع الجهات، وتجلي الهوية المنفردة في كنه الذات، وهي الحقيقة العلياء،

والجوهرة الغرّاء، مركز دائرة الأسماء وروح الله النازلـة من السماء، التي بمعرفتها تتبيّن حقائق الأشياء، وتظهر خافية الصدور في عالم الإنشاء، فيمتاز بها المشرك من الموحد، والواهم من المحقق، والمحق من المبطل، والثابت من الزائل، فإذا تجلّت تلك الذات المقدسة في هيكل وأشرقت شمس الحقيقة من مشرق، وأنكرها منكر، وأعرض عنها معرض، وجهل بها جاهل وغفل عنها غافل، فلا يصدق اسم الموحد[1].

ثم يتمادى في حشد هذه العبارات والكلمات الضائعـة في متاهـات الافتراءات والخرافات وفي عرض ما عنده من أوهام وضلالات فيقول:

ويعرف ويتبين ويمتاز هذا المظهر الكريم، والإنسان العظيم، عن غيره من أفراد البشر بظهور صفات الله تعالىٰ منه. وبروز سماته وخصائصه به. فيظهر منه العلم والحكمة والعزة والسلطنة، والقدرة، والغلبة والقاهرية، وغيرها من خلال الشرف، ونعوت الكمال. من غير أن يكون علمه حاصلاً من التعلم والاكتساب في المدارس العلمية، ولا قوّته وقدرته، سلطانه وعظمته، وقاهريته وغلبته، مستمدّة من السلطة والرياسة الملكية، أو من الغنى والثروة المالية، أو من العصبية والرابطة القومية.

وهكذا جميع صفاته وخلاله، وشمائله وأحواله، بل كل تلك الشمائل والصفات متجليّة فيه بذاته، ومتحققة بكلماته وآياته. فيكون في جميع خلاله معجزاً لغيره ومفحماً ودامغاً لمن يقـوم بمقاومتـه ومجاراتـه، وأخص تلك الصفات، وأظهرها هي القوة القوية التي تـظهر منـه في تشريـع الشرائـع والأديان[2].

فما جاء في هذه الفقرات من مقولة هذا الداعي البهائي من افتراءات

(1) الحجج البهية ص 29.
(2) الحجج البهية ص 31.

وأوهام ومن تناقضات يؤول به حتماً وبأمثاله في الاتجاه والتفكير إلى نفي وجود الله حيث لا وجود لذات لا تتصف بصفة، ولا تنعت بنعت، ولا تسمى باسم.

هذا من ناحية ومن ناحية ثانية ـ وهو ما يوقعه في تضارب مخز ـ أن هذه الذات التي لا وجود لها ـ حسبما يستنتج من قوله وعقيدته ـ عند تجليها في هيكل بشري (أي في ذات البهاء) تصبح ذات أسماء وتوصف بصفات الألوهية، وتنعت بالنعوت المقدسة. وهذا يؤول إلى تأليه الهيكل البشري الذي تجلت فيه الصفات والنعوت الإلّهية والأسماء القدسية، والتي بها يشرع الشرائع والأديان.

أليس هذا هو منتهى السخافة في القول، ومنتهى الحماقة والضلال في التفكير! حيث أصبح الخالق لا وجود له، والمخلوق إلّهاً.

ويتمادى في سخافة قوله، وفي حماقة تفكيره، إلى مستوى فقد فيه سلامة النظر، ووضوح الرؤية، فتداخل عنده ـ تحت وطأة هوسه، وثقل كابوس أوهامه، الخالق في المخلوق والمخلوق في الخالق، تداخلاً جعل الوهم عنده حقيقة، والحقيقة وهماً.

وبذلك اختلطت عليه الأشياء، واختل بيده الميزان فأصبح يهذي، وعندما اشتدّ به الهذيان اتخذه عقيدة، وبمفعول هذه العقيدة الضالة تحدّث عن صنمه (بهاء الله) حديثاً لا يمكن أن يوصف إلا أنه هذيان محموم فقد سلامة الإدراك، وقدرة التمييز فقال: وأن قوته وقدرته مرتبطتان بالقوة القدسية، ومتسببتان عن القدرة الغيبية، ومنبعثتان من الذات الإلّهية، ونازلتان من الحقيقة العلية السماوية، إذ لا شكّ أن الديانة الجديدة حادثة، ولا بدّ لكل حادث من سبب وعلّة، فإذا ما انتفت العلل الملكية التي ذكرناها من قبيل العلوم الكسبية، أو الملك والسلطنة الظاهرية، أو الغنى والثروة المالية، أو المنعة والعزّة القومية، فلم يبق شكّ عند كل متأمل حتى عند الفلاسفة متتبعي العلل والفواعل، أنها تنتهي إلى علة العلل. ومسبب الأسباب، وهي الذات الإلّهية، والحقيقة

السماوية، والرتبة الملكوتية، والهوية اللاهوتية، وهي المعبّر عنها بالواجب تعالى شأنه، وجلّت عظمته. فهذا الإنسان الكريم الذي وصفناه وذكرناه (وهو أجل وأعلى من أن يوصف ويذكر) تحكي وحدته عن وحدة الله، وإرادته عن إرادة الله، ومشيئته عن مشيئة الله، وجميع أسمائه وصفاته عن أسماء الله، وصفات الله، فمعرفته معرفة الله، وإطاعته إطاعة الله، وإنكاره وتكذيبه هو عين إنكار الله، وتكذيب الله ـ وهذا هو التوحيد الحقيقي والعرفان والتغريد الواقعي التحقيقي، والباقي شرك المشركين، وأوهام المتوهمين، وظلمات خيالات المتفلسفين، وسفاسف أفكار المنتحلين[1].

أهناك خلط وهوس أسوأ من هذا الخلط والهوس، وأيضاً أهناك ضلال في العقيدة وعتم في الرؤية، وحماقة في التفكير، وسوء في التقدير، أبعد ضلالاً وأظلم عتامة، وأكثر حماقة، وأسوأ تقديراً مما كان عليه هذا الداعية الضال في عقيدته، ورؤيته، وفي تفكيره وتقديره؟.

وتتطوح به عقيدته الضالة وتدفعه سخافته وحماقته كعادته وعادة أمثاله من البهائيين فيطلب من القرآن أن يؤيده في افتراءاته وأوهامه، فيؤوله ـ حسب هواه، ويجعل آياته قد نزلت في (بهائه الملعون) وفي التنويه والتزكية لعقيدته الضالة فيقول: وفي القرآن الكريم في آية: **﴿الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درّي يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم﴾**[2].

أطلق لفظ شجرة مباركة زيتونة، على مظهر أمر الله، ومطلع شمس حقيقته

(1) الحجج البهية ص 32 - 33.
(2) سورة النور آية 35.

وذاته، ومشرق أنوار أسمائه وصفاته، فإن من هذه السدرة المباركة وحدها تتألق وتضيء الأنوار الإلّهية وتشرق وتلمع أشعة العلم والقوّة والقدرة الملكوتية السماوية، وهذه استعارة في غاية الرقة واللطافة، وتجوز في نهاية اللطف والبراعة لم يوجد مثلها إلا في الكلمات النبوية ولم يسمع شبهها إلا من نغمات طيور القدس في الحدائق القدسية[1].

وليس لي من تعليق، زيادة عما تقدم أن قلته عن هذا التأويل الضال السخيف الذي ابتعد بالآية الكريمة عن معناها المراد، إلى المعنى الذي أملاه عليه هواه الضال، وفرضته عليه نحلته السخيفة.

والمعنى المراد من الآية الكريمة، لا يمكن أن ينال منه هوى الضالين ولا افتراء المفترين و لا إفك الآفكين.

ولإزالة ما عسى أن يعلق بذهن القارىء أو السامع لهذيان هذا الداعية المفتري على الله أذكر ما قاله العلماء الراسخون في العلم حول المراد من الآية فقد بيّنوا جملة المعاني المرادة منها فقالوا:

إن الله تعالىٰ ذكر مثلين (أحدهما) في بيان أن دلائل الإيمان في غاية الظهور (الثاني) في بيان أن أديان الكفرة في نهاية الظلمة والخفاء.

أما المثل الأول فهو قوله سبحانه وتعالىٰ: ﴿**الله نور السموات والأرض**﴾ الآية[2] ولبيان المعاني المرادة والتي يحتملها التعبير القرآني في الآية قالوا:

﴿**الله نور السموات والأرض**﴾ أي الله نور العالم كلّه، علويّه وسفليّه، بمعنى منوّر بالآيات التكوينية والتنزيلية الدّالة على وجوده ووحدانيته وسائر صفاته، والهادية إلى الحقّ، وإلى ما به صلاح المعاش والمعاد، أو الله موجد

---

(1) الحجج البهية ص 175 - 176.
(2) التفسير الكبير للرازي مج (23 - 24) ج 23 ص 222.

العالم كلّه، أو مدبّر الأمر فيه وحده. أو منوّره بالشمس والقمر والكواكب، فقد جعل الشمس ضياء والقمر نوراً. والضياء والنور قد شاع اطلاق كل واحد منهما على الآخر، وناط بهذا الدور مصالح خلقه ومعايشهم، حتى أبصروا وعملوا، ولولاه لظلّوا في عماء وظلمة وخمود.

وقد شبّه في الآية نور الله بمعنى أدلّته وآياته سبحانه ـ من حيث دلالتها على الحقّ والهدى وعلى ما ينفع الخلق في الحياتين ـ بنور المشكاة التي فيها زجاجة صافية، وفي تلك الزجاجة مصباح يتّقد بزيت بلغ الغاية في الصفاء والرّقّة والإشراق، حتى يكاد يضيء بنفسه من غير أن تمسه النار.

﴿نور على نور﴾ أي هو نور عظيم على نور، فنور الله متضاعف لا حدّ لتضاعفه لا كالنور الممثل به فإن لتضاعفه حدّاً معيناً محدوداً مهما كان إشراقه وإضاءته.

﴿يهدي الله لنوره﴾ العظيم الشأن **﴿من يشاء﴾** هدايته من عباده، بتوفيقهم لفهم آياته الدّالة على صفاته وحكمته، وفهم كتبه وشرائعه، وأسرار مخلوقاته الدّالة على الخير وسعادة الدارين(1).

أو أن الضمير في قوله تعالىٰ: **﴿مثل نوره﴾** عائد إلى المؤمن الذي دلّ عليه سياق الكلام تقديره: مثل نور المؤمن الذي في قلبه كمشكاة، فشبّه قلب المؤمن وما هو مفطور عليه من الهدى، وما يتلقّاه من القرآن المطابق لما هو مفطور عليه، كما قال تعالىٰ: **﴿أفمن كان على بيّنة من ربّه ويتلوه شاهد منه﴾**. فشبّه قلب المؤمن في صفائه في نفسه بالقنديل من الزجاج الشفاف الجوهري، وما يستهديه من القرآن والشرع بالزيت الجيّد الصافي المشرق المعتدل، الذي لا كدر فيه ولا انحراف(2) وقد اهتدى العلماء إلى توضيح هذه المعاني المرادة

---

(1) صفوة البيان لمعاني القرآن للشيخ حسنين محمد مخلوف. «دولة الامارات العربية المتحدة ووزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف. ط الثانية سنة 1401 هـ/ 1981 م ص 453 ' 454.

(2) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج 6 ص 61.

من الآية، من الآية نفسها مبنى ومعنى، ومن الحديث النبوي المتفق عليه فقد روى البخاري ومسلم، عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: «كان النبيّ ﷺ إذا قام من الليل يتهجّد قال: ـ اللهم لك الحمد أنت قيّم السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد لك ملك السموات والأرض ومن فيهن. ولك الحمد أنت نور السموات والأرض. . .»[1].

ومما قاله ابن عباس: هذا مثل نور الله وهداه في قلب المؤمن، فكما يكاد الزيت الصافي يضيء قبل أن تمسه النار، فإذا مسّته ازداد ضوءاً على ضوء، يكاد قلب المؤمن يعمل بالهدى قبل أن يأتيه العلم، فإذا جاءه ازداد هدى على هدى، ونوراً على نور[2].

ذكرت ما ذهب إليه العلماء المؤمنون الراسخون في العلم من تأويل للآية، لإزالة ـ كما قلت ـ ما عسى أن يعلق بذهن القارىء أو السامع من هذيان هذا الداعية البهائي في تأويله الضال.

وإلا فالمقارنة بين منهج الحقّ، ومنهج الباطل، وبين التأويل الذي سنده الإيمان والعلم الراسخ وبين التأويل الذي سنده الزندقة، أو الكفر والإلحاد، ودافعه الهوى وغايته نشر الضلال والشبهات الآثمة، مقارنة لا يقبلها العقل الواعي السليم، ولا يرتاح لها الوجدان الطاهر السّويّ.

فمقصدي من إزالة ما عسى أن يعلق بذهن القارىء أو السامع من هوس وهذيان البهائيين وأتباعهم، هو شفيعي في إجراء هذه المقارنة، وذكر أقوال العلماء المؤمنين الراسخين في العلم، بإزاء أقوال الجهلة الذين دينهم الهوى، ومذهبهم التمسك بالإفك والضلال.

(1) فتح الباري شرح صحيح البخاري ج 3 ص 3 كتاب التهجد. وأخرجه مسلم في صحيحه (كتاب صلاة المسافرين) باب «الدعاء في صلاة الليل».

(2) تفسير المراغي للشيخ احمد مصطفى المراغي مج (18/16) ج 18 ص 109 ط 3 سنة 1385 هـ/ 1965 م.

وهو شفيعي أيضاً في مواصلة ذكر أمثلة أخرى من تأويل البهائيين الباطل، من منهجهم السخيف، لزيادة فضحهم، وكشف ما هم عليه من ضلال، ومن افتراء على الحق، ومن سخرية بعقولهم ومشاعرهم، وبعقول ومشاعر أتباعهم المغفلين الأغبياء، إن بقيت لهم ولأتباعهم عقول ومشاعر.

وهذه الأمثلة هي من كتاب مؤلف من جزأين ألّفه داعية من دعاتهم وهو احمد حمدي آل محمد الذي يطلقون عليه ـ تنويهاً بشأن خدماته لنحلتهم ـ لقب (النقّابة) وقد عنون الجزء الأول بـ(التبيان والبرهان) ـ وعلى أن عيسى نزل وظهر مهدي آخر الزمان ـ وعنون الجزء الثاني بـ(التبيان والبرهان) ـ في حقيقة القيامة ـ والحياة بعد الموت للإنسان ـ.

وبتعريفه لكتابه هذا قال:

أما بعد فهذه محاورة سمّيتها (التبيان والبرهان) في إثبات أن عيسى نزل وظهر مهدي آخر الزمان، وأن المراد من عيسى هو بهاء الله، ومن المهدي السيد علي محمد الباب[1] هذا بالنسبة للجزء الأول، وأما بالنسبة للجزء الثاني، قال:

أما بعد: لما كان من معتقدات أمة بهاء الله أن القيامة هي قيام الرسول على أمره تعالىٰ، ظنّ البعض، أن هذا المعتقد مخالف لما جاء في القرآن الكريم، فكتبت هذا الجزء من المحاورة المسماة: (بالبيان والبرهان) وجعلته في حقيقة القيامة، والحياة بعد الموت للإنسان[2].

وهذه المحاورة أدارها في أول الأمر في اليوم الأول بين شخصين: الأول أطلق عليه اسم زيد، وكان دوره في الحوار التبشير بالدين البهائي الجديد.

---

(1) كتاب التبيان والبرهان للنقابة احمد حمدي آل محمد ج 1 ص 3 ط الثالثة، طبع في مطبعة البيان ـ ساحة رياض الصلح ـ بيروت سنة 1962.

(2) نفس المرجع ج 2 ص 2.

والثاني أطلق عليه اسم خالد وكان دوره في الحوار معارضة زيد باسم الإسلام، ولكنها معارضة تتصف بالهوان وضعف الحجة، وفي النهاية يستسلم خالد لزيد ويؤمن بالدين الجديد الذي يسمى بالبهائية ثم شرّك معهما في الحوار شخصين آخرين: أحدهما يهودي أطلق عليه اسم (عزرا) والثاني نصراني أطلق عليه اسم (بطرس).

وبعد أن ختم الحوار لفائدة الداعية البهائي الذي آمن على يديه بالدين الجديد، بعد طول حوار وجدال، اليهودي والنصراني والمسلم. وكان ذلك:

أولاً: برأي من بطرس الذي قال: إن هذه الأدلة والبراهين لهي أدلّة قاطعة، وبراهين ساطعة، وكيف لا وقد تضافرت الكتب السماوية على الإتيان بها، والأحاديث النبوية على الاستدلال فيها. وإني قد سمعت بعض ما جاء به بهاء الله، فمثل هذا لا يأتي به كاذب على الله، ولو لم يكن من دليل إلا هذا لكفى.

ولقد قرأت في إنجيل متى، الإصحاح السابع الآية الخامسة عشرة وما بعدها: (احترزوا من الأنبياء الكذبة الذين يأتونكم بثياب الحملان، ولكنهم من داخل ذئاب خاطفة من ثمارهم تعرفونهم، هل يجنون من الشوك عنباً، أو من الحسك تيناً، هكذا كل شجرة جيدة تصنع أثماراً جيدة، وأما الشجرة الرديئة فتصنع أثماراً رديئة. لا تقدر شجرة جيّدة أن تصنع أثماراً رديئة، ولا شجرة رديئة أن تصنع أثماراً جيّدة، كل شجرة لا تصنع ثمراً جيداً تقطع وتلقى في النار. فإذن من ثمارهم تعرفونهم).

فمن ثمار بهاء الله، وسمو ما جاء به عرفنا صدق دعواه، فأنا أولكم أؤمن به، وبما جاء به وأقدم اعترافي بذلك، فتبعه عزرا، وتلاه الآخرون فتصافحوا وتعانقوا وأصبحوا بحمد الله إخواناً على سرر متقابلين[1].

(1) نفس المرجع ج 1 ص 141.

هكذا رأي المؤلف الذي صاغه على لسان بطرس، وهو رأي سخيف خبيث يدل على تعمّد تشويه الحقّ وقلب الحقائق، ولكن غفلته أفسدت عليه رأيه وجعلته يلعن نفسه بنفسه حيث لو انتبه إلى الآية التي استشهد بها من الإنجيل لوجدها تحذّر من الكاذبين، وتدعو إلى الاحتراز منهم، ومن بينهم بهاء الله الذي لم يكن بادعائه الكاذب، إلا شجرة رديئة خبيثة صنعت ثماراً رديئة خبيثة، لا يغترّ بمظهرها إلا من فقد وضوح رؤية البصر والبصيرة، ولا يستسيغ طعمها النتن الخبيث إلا من فقد حاسة الذوق والشمّ معاً.

وبهذا يكون المؤلف الواقع في أسر الهوى والشهوات، قد استشهد بما يسخر منه وبنحلته، وبما يلعنه ويلعن صاحبه، ويجعل عقيدة البهائيين وإيمانهم الذي يمثله في المحاورة زيد، وخالد، وعزرا، وبطرس موضوع تندر واستخفاف، عند عامة الناس ومثار سخط واستنكار عند أولي الأبصار، ذوي العقول والألباب.

وثانياً: برأي من زيد الذي يقول: ولنختم بحثنا بآيات من القرآن تطابق الآية التي جاء بها بطرس من الإنجيل، قال تعالىٰ: ﴿**ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيّبة كشجرة طيّبة أصلها ثابت وفرعها في السماء * تؤتي أكلها كل حين بإذن ربّها ويضرب الله الأمثال للناس لعلّهم يتذكّرون * ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار ***﴾[1].

وهذه الآيات من القرآن الكريم، في إطارها القرآني، وبمعناها المراد منها البيّن في ذاته، والذي زاده العلماء المؤمنون الراسخون في العلم بياناً على بيان ـ اعتماداً على بيان الرسول الأكرم ﷺ المستفاد مما صحّت روايته عنه، الذي لم يترك لأصحاب الهوى والنحل الضالة أي منفذ ينفذون منه إلى القرآن الكريم، فيسيئون إليه، ويحكمون فيه أهواءهم الضالة ـ.

---

(1) سورة ابراهيم آيات 24 - 25 - 26.

ومن بيان العلماء لهذه الآيات، وفي إطارها القرآني، الذي أضافوا به بياناً إلى بيان ومن توضيحهم للمعنى المراد منها أنهم قالوا: بعد أن بيّن سبحانه وتعالىٰ حال الأشقياء، ومآل أمرهم، وما يلاقونه من الشدائد والأهوال، في نار جهنم التي لا يجدون عنها محيصاً، وذكر أحوال السعداء، وما ينالون من فوز عند ربّهم، وهذا يستفاد من الآيات السابقة لهذه الآيات، وهي قوله تعالىٰ: **﴿وبرزوا لله جميعاً فقال الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعاً فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء قالوا لو هدانا الله لهديناكم سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص * وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحقّ ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخيّ إني كفرت بما أشركتمون من قبل إنّ الظالمين لهم عذاب أليم * وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنّات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها بإذن ربّهم تحيّتهم فيها سلام﴾**[1].

بعد أن بيّن سبحانه وتعالىٰ ما تقدم ضرب لذلك مثلا يبين حال الفريقين ويوضح الفرق بين الفئتين، وبه ألبس المعنويات لباس الحسيات ليكون أوقع في النفس وأتمّ لدى العقل.

والأمثال لدى العرب هي المهيع المسلوك، والطريق المتبع، لإيضاح المعاني، إذا أريد تثبيتها لدى السامعين، والقرآن الكريم مليء بها، والسنة النبوية جرت على منهاجه، فكثيراً ما تتبع المسائل الهامة بضرب الأمثال لها، لتستقرّ في النفوس، وتنقش في الصدور **﴿ألم تر كيف ضرب الله مثلاً﴾** أي ألم تعلم أيها الإنسان علم اليقين كيف ضرب الله مثلاً ووضعه الموضع اللائق به.

﴿كلمة طيّبة كشجرة طيّبة أصلها ثابت وفرعها في السماء، تؤتي أكلها كل

(1) سورة ابراهيم آيات 23/21.

حين بإذن ربّها﴾. أي أن الله جلّت قدرته شبّه الكلمة الطيبة وهي الإيمان الثابت في قلب المؤمن الذي يرفع به عمله إلى السماء كما قال تعالىٰ: **﴿إليه يصعد الكلم الطيّب والعمل الصالح يرفعه﴾**(1) وتنال بركته وثوابه في كل وقت، فالمؤمن كلما قال: لا إلّه إلا الله بعمق إيمان وصدق توجّه، صعدت إلى السماء وجاءت بركتها وخيرها ـ بالشجرة الطيبة المثمرة الجميلة المنظر الشذّية الرائحة، التي لها أصل راسخ في الأرض به يؤمن قلعها وزوالها، وفروعها متصاعدة في الهواء، فيكون ذلك دليلاً على ثبات الأصل ورسوخ العروق، وعلى بعدها عن عفونات الأرض، وعما في أبنيتها من تلوث، فتأتي الثمرة نقيّة، خالية من جميع الشوائب، وتثمر في كل حين بأمر ربّها وإذنه، وإذا اجتمع لهذه الشجرة كل هذه المميزات كثرت رغبة الناس فيها.

وقد روي عن ابن عباس أن الكلمة الطيبة هي قول «لا إلّه إلا الله» وأن الشجرة الطيبة: هي المؤمن(2).

وعن ابن عمر قال: «كنا عند رسول الله ﷺ فقال: أخبروني بشجرة تشبه أو كالرجل المسلم لا يتحاتّ ورقها، ولا تؤتي أكلها كل حين، قال ابن عمر: فوقع في نفسي أنها النخلة، ورأيت أبا بكر وعمر لا يتكلمان، فكرهت أن أتكلم، فلما لم يقولوا شيئاً: قال رسول الله ﷺ : هي النخلة فلما قمنا قلت لعمر: يا أبتاه، والله لقد كان وقع في نفسي أنها النخلة. فقال: ما منعك من أن تكلم؟ قال: لم أركم تكلمون فكرهت أن أتكلم أو أقول شيئاً، قال عمر: لأن تكون قلتها أحبّ أليّ من كذا وكذا»(3).

ثمّ نبّه سبحانه وتعالىٰ إلى عظم هذا المثال ليكون ذلك داعية تدبره ومعرفة المراد منه فقال:

---

(1) سورة فاطر آية 10.

(2) تفسير ابن جرير الطبري ج 12 ص 135.

(3) صحيح البخاري ـ تفسير سورة ابراهيم ـ فتح الباري لابن حجر ج 8 ص 377.

obeikandl.com

﴿ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون﴾ أي إن في ضرب الأمثال زيادة إفهام وتذكير للناس، لأن أنس النفوس بها أكثر، فهي تخرج المعنى من خفيّ إلى جليّ، ومما يعلم بالفكر إلى ما يعلم بالاضطرار والطبع، وبها يطبق المعقول على المحسوس، فيحصل العلم التام بالشيء الممثّل له.

﴿ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار﴾ أي ومثل كلمة الكفر وما شاكلها مثل شجرة خبيثة كالحنظل ونحوه مما ليس له أصل ثابت في الأرض، بل عروقها لا تتجاوز سطحها، وقد اقتلعت من فوق الأرض، لأن عروقها قريبة منه، أو لا عروق لها في الأرض فكما أن هذه لا ثبات لها ولا دوام. فكذلك الباطل لا يدوم ولا يثبت، بل هو زائل ذاهب وثمره مرّ كريه كالحنظل.

وبهذا التشبيه والتمثيل يدرك كل متأمل ومتدبّر أن أصحاب النفـوس الطيّبة، وكبار المفكرين المؤمنين، والراسخين في العلم. هم أصحاب الكلمة الطيّبة، وعلومهم وما فيها من أنظار، ومن استنباط واستنتاج تعطي الناس نعماً ورزقاً في الدنيا، وهي مستقرّة في نفوسهم، وفروعها ممتدة إلى العوالم العلوية والسفلية وتثمر كل حين لأبناء أمتهم ولغيرهم، فيهتدي بها المؤمنون، وما أشبههم بالنخلة التي لها أصل ثابت مستقرّ وفروع عالية، وثمر دائم، ويأكل الناس منها صيفاً وشتاء.

ومن هؤلاء: العلماء المؤمنون المؤولون لآي القرآن الكريم، لتوضيح وإبراز معانيها المرادة للناس، ليهتدوا بهديها، ويسيروا على منهجها الذي يريهم الحق حقاً ليتّبعوه، والباطل باطلاً ليجتنبوه.

وهم العلماء الذين آمنوا بالله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ ربّاً، وبمحمّد ﷺ رسولاً، وبالإسلام ديناً، وعملوا الصالحات، فنفعوا الناس بإيمانهم وعلمهم.

كما يدرك كل متأمل ومتدبر أن أصحاب الهوى وأسرى الشهوات، وأن

أصحاب النفوس الضعيفة، والعقول الواهنة، وأن المقلّدين في العلم الذين يميلون حيث يمال بهم ويقولون ويفعلون ما يطلب منهم من غير إيمان يتحصنون به، ومن غير هدى يرشدهم ومن غير مبادىء ومثل توجههم، ومن غير حدود يقفون عندها، بل بدافع ما عند بعضهم من كفر وإلحاد، ومن خبث ومكر، وما عند البعض الآخر من هوان في النفس، ومن تبعية مزرية ومن طمع مخز ومذلّ. هم أصحاب الكلمة الخبيثة التي لا ثبات لها كالحنظل.

ومن هؤلاء: البابيون والبهائيون، ومن كان على شاكلتهم ممن أخذوا منهم وتأثروا بهم، أو ممن يأخذون منهم ويتأثرون بهم.

وهم جميعاً أصحاب زندقة وكفر وإلحاد ـ ماضياً وحاضراً ومستقبلاً ـ طابعهم المميز الفاضح لهم. أنهم لا يؤمنون بالله، ولا بدينه الخاتم المنزل على محمد ﷺ أو يتظاهرون بالإيمان، ثم يفترون على الله، ويحاربون دينه.

ومن منهجهم في المحاربة، وفي الافتراء على الله وتأويل آيات كتابه حسب الهوى والشهوات الآثمة وخدمة لنحلتهم الضالة وتقديساً لإماميهم المزيفين (الباب) و(بهاء الله) هو أنهم جعلوا القرآن الكريم الذي يحمل شريعة الله وهديه إلى الناس كافة منذ أن بعث الله محمداً عليه الصلاة والسلام إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

جعلوه بواسطة تأويلهم الحائد عن طريق الحق، والذي لا يقبله عقل رشيد، ولا نقل مقدس متفق على صحته، وعلى يقين أخباره وأنبائه. جعلوه بواسطة ذلك ينوّه بشأن زنديقين بل ملحدين أحدهما يسمى (الباب) والآخر يسمى (بهاء الله).

وهذا المنهج المزري بعقول أصحابه وبعقول أتباعهم، يبرز جلياً في الجزء الثاني من كتاب (التبيان والبرهان) الذي شرّك في بدايته مع الأشخاص الأربعة الذين أدار على ألسنتهم الحوار في الجزء الأول، شخصاً خامساً أطلق

عليه اسم (عمار)، وذلك ليواصل بواسطة حواره بسط ما بقي له من آراء وأنظار حول دينهم الجديد، دين السفه والضلال.

ومن بين تأويله الذي يثير في النفس السخرية والتهكم من ناحية، ويبعث على المقت والغضب، وتوجيه اللعنة من ناحية ثانية، قوله:

ـ تحت عنوان: دلالة سورة هود على إتيان حضرة الباب وهو المهدي عليه السلام الذي هو حضرة الباب هو قوله تعالىٰ: ﴿**أفمن كان على بيّنة من ربّه ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى إماماً ورحمة أولئك يؤمنون به ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده فلا تك في مرية منه إنه الحقّ من ربّك ولكنّ أكثر الناس لا يؤمنون** ❊﴾ هود آية 17 فسّر كثير من المفسرين الذي على بيّنة من ربّه بمحمّد ﷺ ويتلوه بمعنى يتبعه ويشهد له على صدقه، وهذا التفسير صحيح، والآية تدل على أن هناك شاهدين على صدق دعوة محمد ﷺ فالأول الذي يتلوه أي يأتي بعده، والثاني كتاب موسى الذي جاء من قبله، فالذي يأتي بعد محمد ﷺ ويشهد له بصدق دعواه يقتضي أن يكون رسولاً مستقلاً بشريعة، كما أن موسى ـ عليه السلام ـ الذي جاء في كتابه بالشهادة له مستقلاً في شريعته ليتساويا في القدسية، وليس تابعاً لمحمد ﷺ في شريعته، وإلا فكل تابع لمحمد ﷺ يقول: أشهد أن لا إلٓه إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، أي يشهد بصحة رسالة محمد ﷺ فلا بدّ إذن أن يكون هذا الشاهد مستقلاً برسالة وتشريع، ولم نر بعد محمد ﷺ من ادعى رسالة وتشريعاً غير السيد علي محمد الباب وقد شهد لمحمد ﷺ وصدّقه برسالته ودعواه، وهذا الشاهد هو منه أي من ذريته ونسله، والضمير في (منه) يرجع إلى من كان على بيّنة من ربّه وهو محمد ﷺ كما تقدم، والسيد علي محمد الباب هو من ذرية فاطمة من نسل محمد ﷺ وهذا الشاهد المتأخر[1].

---

(1) كتاب (التبيان والبرهان) ج 2 ص 138 - 139.

تأويل ضال سخيف، واستنتاج أبعد ضلالاً، وأكثر سخفاً، وهذا المؤول المستنتج لا يفقه ما يقول، وذلك أن صاحبه الذي اعتبره الشاهد المتأخر على صدق رسالة محمد ﷺ بعد الشاهد المتقدم الذي هو موسى ـ عليه السلام ـ.

صاحبه هذا لو كان يؤمن برسالة محمد ﷺ ويشهد على صدقها لما ادّعى الرسالة بعده، حيث إن الله سبحانه وتعالىٰ ـ الذي بعث محمداً ـ ﷺ رسولاً للناس كافة، قال في كتابه الكريم الذي: ﴿**لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه**﴾[1].

﴿**ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين**﴾[2].

فكلام الله الذي لا شكّ فيه ولا ريب قد أعلن صراحة وأخبر الناس كافة بأن محمداً ـ عليه الصلاة والسلام ـ هو خاتم الأنبياء، أي لا نبيّ بعده.

هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية، قد رويت عن الرسول ﷺ في أنه خاتم الأنبياء والمرسلين، أحاديث متواترة منها:

قوله ﷺ : (إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله، إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به، ويعجبون له ويقولون: هلّا وضعت هذه اللبنة؟ قال: فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين)[3].

وقوله: «إن لي أسماء: أنا محمد، وأنا احمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب الذي ليس بعده نبيّ»[4].

(1) سورة فصلت آية 42.
(2) سورة الأحزاب آية 40.
(3) صحيح البخاري (فتح الباري) ج 6 ص 558 رقم 3535.
(4) تفسير ابن كثير ج 6 ص 425 وعلق عليه بقوله: اخرجاه في الصحيحين: (البخاري كتاب المناقب)، باب (ما جاء من أسماء رسول الله ﷺ) ومسلم كتاب: الفضائل باب «في اسمائه ـ ﷺ).

وقوله: «مثلي ومثل الأنبياء كمثل قصر أحسن بنيانه، وترك منه موضع لبنة فطاف بها النّظّار يتعجبون من حسن بنائه إلا موضع تلك اللبنة لا يعيبون سواها فكنت أنا سددت موضع تلك اللبنة، ختم بي البنيان وختم بي الرسل»[1].

قال الحافظ ابن كثير: الأحاديث في هذا كثيرة، فمن رحمة الله تعالىٰ بالعباد إرسال محمد ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ إليهم، ثم من تشريفه له ختم الأنبياء والمرسلين به، وإكمال الدين الحنيف له، وقد أخبر تعالىٰ في كتابه، ورسوله في السنة المتواترة عنه: أنه لا نبيّ بعده ليعلموا أن كل من ادّعى هذا المقام بعده فهو كذّاب أفاك، دجال ضال مضلّ، ولو تخرّق وشعبذ، وأتى بنوع السحر والطلاسم والنيرنجيات[2] فكلها محال وضلال عند أولي الألباب، كما أجرى الله سبحانه وتعالىٰ على يد الأسود العنسي باليمن، ومسيلمة الكذّاب باليمامة، ومن الأحوال الفاسدة والأقوال الباردة، ما علم كل ذي لبّ وفهم وحجى أنهما كاذبان ضالان، لعنهما الله، وكذلك كل مدّع لذلك إلى يوم القيامة حتى يختموا بالمسيح الدجال، يخلق الله معه من الأمور ما يشهد العلماء والمؤمنون بكذب ما جاء به، وهكذا من تمام لطف الله تعالىٰ بخلقه، فإنهم بضرورة الواقع لا يأمرون بمعروف ولا ينهون عن منكر إلا على سبيل الاتفاق، أو لما لهم فيه من المقاصد إلى غيره، ويكون في غاية الإفك والفجور، في أقوالهم وأفعالهم، كما قال تعالىٰ: ﴿**هل أنبئكم على من تنزّل الشياطين * تنزّل على كلّ أفّاك أثيم**﴾[3] الآية.

وهذا خلاف الأنبياء ـ عليهم السلام ـ فإنهم في غاية البرّ والصدق والرشد والاستقامة فيما يقولونه ويفعلونه، ويأمرون به، وينهون عنه، مع ما يؤيدون به

---

(1) اخرجه البغوي في (شرح السنة) ج 13 ص 201.

(2) من القاموس المحيط: «النيرنج» بكسر النون وسكون الياء وفتح الراء ونون ثانية ساكنة ـ أخذ كالسحر، وليس به.

(3) سورة الشعراء آية 221 - 222.

من الخوارق للعادات، والأدلة الواضحات، والبراهين الباهرات، فصلوات الله وسلامه عليهم دائماً مستمراً، ما دامت الأرض والسموات.

بعد هذا، فالادعاء بأن (الباب) شاهد على رسالة محمد ﷺ وعلى صدقه، وفي نفس الوقت الادعاء بأنه رسول بعده، كلام متضارب في مذهب العقل الواعي الرشيد، وفي ميزان المنطق والبرهان السليم. حيث يكذّب بعضه بعضاً إذ من ناحية يشهد بصدق محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ ومن ناحية يكذّبه ويكذّب القرآن الذي أنزل عليه فيما أخبرا به، من أنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ خاتم الأنبياء والمرسلين.

فمن الأكيد عند كل ذي عقل ولبّ أن ما يذهب إليه البهائيون وأن ما يذهب إليه داعيهم هذا من تأويل هو عين الكذب والبهتان ومثل السخافة والهذيان، وأنه في تأويله لا يفقه ما يقول.

ومن تأويله السخيف أيضاً الذي يمثل الهوس والهذيان قوله ـ تحت عنوان: دلالة سورة هود على مجيء حضرة بهاء الله ـ:

أما دلالة هذه الصورة على الجمال المبارك، حضرة بهاء الله، الذي وعدنا بمجيئه بالكتب السماوية والأحاديث النبوية، فقد قال تعالىٰ: ﴿**وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد * إن في ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود * وما نؤخره إلا لأجل معدود * يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقي وسعيد ***﴾ هود آية 102 ، 105 . بعد ما ذكر سبحانه وتعالىٰ ما حاق بالأقوام الماضية المكذّبة لرسلها من العذاب والهلاك قال (وكذلك) الحال في (أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة) المكذبة لرسلها بالعذاب والهلاك في المستقبل وهو زماننا هذا لأنه هو الزمن المستقبل لزمن نزول القرآن، وفيه أول رسل أرسلت بعد محمد ﷺ (وإذا ظرف لما يستقبل من الزمان) وظلمها هو ظلمها لنفسها في كونها لم تؤمن

obeikandi.com

برسلها ولم تستجب لدعوتهم (إن في ذلك لآية) أي فيما جرى على المكذبين الماضين لعبرة وموعظة (لمن خاف عذاب الآخرة) فكلما انقضت دورة لرسول وجاء رسول آخر فلا بدّ من تكذيب ولا بدّ من عذاب، فمن خاف هذا العذاب فليعتبر بالمكذبين الماضين، وقد حذّر سبحانه وتعالىٰ الناس الذين هم في هذه الدورة أعني دورة حضرة بهاء الله العظيم من عدم الاستجابة له والتباطؤ عن الإيمان به، والتسليم له، فإن فيما أصاب الأمم الماضية من الدمار والهلاك عبرة.

ثم قال تعالىٰ: ﴿**ذلـك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود**﴾ فقد اجتمعت في هذا اليوم الأمم والدول، فتارة لقتال بعضهم بعضاً، وتارة لدرء النوازل عنهم من ويلات الحروب، وهيهات هيهات أن يفلحوا إذا لم يؤمنوا بحضرة بهاء الله ﴿**وذلك يوم مشهود**﴾ أي أنه سيرى ويشاهد، والمعنى أنه لا محالة واقع أو أنه مشهود له بكثرة ما تقع فيه من الشواهد والدلائل، الدالة على أن هذا اليوم هو الذي وعدت الأمم به، فمن بعض تلك الشواهد ما مرّ آنفاً من الشواهد الحسية والمعنوية التي دلّت على أن هذا اليوم هو يوم القيامة، وأن القيامة قد قامت ﴿**وما نؤخره إلا لأجل معدود**﴾ أي لوقت معين، ﴿**يوم يأت**﴾ موعود الأمم وهو الجمال المبارك، حضرة بهاء الله ـ (لا تكلم نفس بحضرته إلا بإذنه) لهيبته وجلاله، حتى أن الزائرين كانوا لا يستطيعون شرب الشاي عنده ولا الدخان إلا بعد تكرار أمره لهم بذلك. ثم قال تعالىٰ: ﴿**فمنهم شقي وسعيد**﴾، فمن آمن بالجمال المبارك حضرة بهاء الله فهو السعيد ومن لم يؤمن به فهو الشقّي [1].

وهنا ليس من تعليق على هذا السفه في التفسير، والسخافة في التأويل، مثل قوله: ﴿**وكذلك**﴾الحال في ﴿**أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة**﴾

---

(1) (التبيان والبرهان) ج 2 ص 140 - 142.

المكذّبة لرسلها بالعذاب والهلاك في المستقبل وهو زماننا هذا لأنه هو الزمن المستقبل لزمن نزول القرآن وفيه أول رسل أرسلت بعد محمد ﷺ.

وعلى الهوس في المقارنة والاستدلال، مثل قوله: فكلما انقضت دورة لرسول، وجاء رسول آخر فلا بدّ من تكذيب ولا بدّ من عذاب، فمن خاف هذا العذاب فليعتبر بالمكذبين الماضين وقد حذّر سبحانه وتعالىٰ الناس الذين هم في هذه الدورة أعني دورة حضرة بهاء الله العظيم من عدم الاستجابة له، والتباطؤ عن الإيمان به، والتسليم له فإن فيما أصاب الأمم الماضية من الدمار والهلاك عبرة.

وعلى الوقاحة في اعتبار بهائه الملعون نبياً من أنبياء الله ورسولاً من رسله لن يفلح الناس إذا لم يؤمنوا به، وقد عبّر عن هذا بقوله: هيهات هيهات أن يفلحوا ـ أي الناس ـ إذا لم يؤمنوا بحضرة بهاء الله.

وعلى الابتذال في أخسّ مشاهده عندما أراد إظهار قداسة بهائه الملعون بقوله: حضرة بهاء الله (لا تكلم نفس بحضرته إلا بإذنه، لهيبته وجلاله حتى أن الزائرين كانوا لا يستطيعون شرب الشاي عنده ولا الدخان إلا بعد تكرار أمره لهم بذلك.

وهذا يدلّ على مدى إسفافهم وحقارتهم في إظهار محاسن بهائهم الكذّاب، وفي تعاملهم مع بعضهم بعضاً.

وعلى افترائهم على الله، وجعلهم آيات كتابه الكريم ـ سفهاً وحماقة منهم، وكفراً وإلحاداً، واتباعاً للهوى واستجابة للشهوات ـ تتحدث عن زنديقين ملعونين، وتخبر الناس بحلول زمنهما، وتبشرهم بنبوة (الباب) الكاذب، وبرسالة (البهاء) اللعين.

ليس لي من تعليق على هذا السفه والسخافة، وعلى هذا الهوس والوقاحة، وعلى هذا الابتذال والافتراء، سوى أن أضيف إلى ما تقدم أن قلته،

وعلقت به، أن هذا المؤول المفتري على الله، وأمثاله من المفترين الأفاكين يصدق عليهم قوله عليه الصلاة والسلام: «إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستحي فاصنع ما شئت»[1].

ولمحو ما عسى أن يعلق بأذهان السامعين أو القارئين من تفسير وتأويل هذا الأفاك الأثيم للآيات الكريمة المتقدم ذكرها من سورة هود، أذكر ما قاله العلماء المفسرون، وسندهم في ذلك القرآن الكريم والسنة النبوية، واللغة العربية الصحيحة والعقل الواعي الرشيد، والإيمان الصادق الثابت، والميزان المستقيم النابعة استقامته من جميع هذه المصادر.

قال الإمام الفخر الرازي: في بداية وفي ختام تفسيره لقوله تعالىٰ: ﴿**أفمن كان على بيّنة من ربّه...**﴾ الآية:

اعلم أن تعلق هذه الآية بما قبلها ظاهر ـ يقصد بما قبلها، قوله تعالىٰ: ﴿**من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون * أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون ***﴾[2] والتقدير: أفمن كان على بيّنة من ربّه كمن يريد الحياة الدنيا وزينتها وليس لهم في الآخرة إلا النار، إلا أنه حذف الجواب لظهوره...

ثم قال:

واعلم أن المطالب على قسمين: منها ما يعلم صحتها بالبديهة، ومنها ما

---

(1) اخرجه البخاري في صحيحه. باب (إذا لم تستحي فاصنع ما شئت) ـ فتح الباري ج 10 ص 523 رقم 6120. وأخرجه البغوي في (شرح السنة) وعلق عليه بقوله: هذا حديث صحيح ثم قال: وقوله (من كلام النبوة معناه: اتفاق كلمة الأنبياء ـ صلوات الله عليهم ـ على استحسان الحياء، فما من نبي الا ندب اليه وبعث عليه (ج 13 ص 173 - 174). وأورده صاحب كتاب «التاج...» وعلق عليه بقوله: (رواه البخاري وأبو داود واحمد. ج 5 ص 59.

(2) سورة هود آية 15 - 16.

يحتاج في تحصيل العلم بها إلى طلب واجتهاد، وهذا القسم الثاني على قسمين، لأن طريق تحصيل المعارف إما الحجة والبرهان المستنبط بالعقل، وإما الاستفادة من الوحي والإلهام، فهذان الطريقان هما الطريقان اللذان يمكن الرجوع إليهما في تعريف المجهولات، فإذا اجتمعا واعتضد كل واحد منهما بالآخر، بلغا في القوة والوثوق، ثم إن في أنبياء الله تعالىٰ كثرة، فإن توافقت كلمات الأنبياء على صحته وكان البرهان اليقيني قائماً على صحته، فهذه المرتبة قد بلغت في القوة إلى حيث لا يمكن الزيادة.

فقوله: ﴿**أفمن كان على بينة من ربه**﴾ المراد بالبينة الدلائل العقلية اليقينية، وقوله ﴿**ويتلوه شاهد منه**﴾ إشارة إلى الوحي الذي حصل لمحمد ـ عليه السلام ـ وقوله: ﴿**ومن قبله كتاب موسى إماماً ورحمة**﴾ إشارة إلى الوحي الذي حصل لموسى ـ عليه السلام ـ وعند اجتماع هذه الثلاثة قد بلغ هذا اليقين في القوة والظهور والجلاء إلى حيث لا يمكن الزيادة عليه.

ثم قال تعالىٰ: ﴿**ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده**﴾ والمراد من الأحزاب أصناف الكفار، فيدخل فيهم اليهود والنصارى والمجوس.

روى سعيد بن جبير عن أبي موسى أن النّبي ﷺ قال: «لا يسمع بي يهودي ولا نصراني فلا يؤمن بي إلا كان من أهل النار».

قال أبو موسى: فقلت في نفسي: إن النبي ﷺ لا يقول مثل هذا إلا عن القرآن، فوجدت الله تعالىٰ يقول: ﴿**ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده**﴾ وقال بعضهم: لما دلّت الآية على أن من يكفر به فالنار موعده، دلّت على أن من لا يكفر به لم تكن النار موعده.

ثم قال: ﴿**فلا تك في مرية منه إنّه الحقّ من ربّك**﴾ ففيه قولان: الأول: فلا تك في مرية من صحة هذا الدين، ومن كون القرآن نازلاً من عند الله تعالىٰ:

فكان متعلقاً بما تقدم من قوله تعالىٰ: ﴿**أم يقولون افتراه**﴾[1].

الثاني: فلا تك في مرية من أن موعد الكافر النار.

ثم قال: ﴿**ولكن أكثر الناس لا يؤمنون**﴾ والتقدير: لما ظهر الحق ظهوراً في الغاية فكن أنت متابعاً له، ولا تبال بالجهال سواء آمنوا أو لم يؤمنوا، والأقرب أن يكون المراد لا يؤمنون بما تقدم ذكره من وصف القرآن[2].

وقال الحافظ ابن كثير حول قوله تعالىٰ: ﴿**وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى**...﴾ إلى قوله: ﴿**فمنهم شقي وسعيد**﴾!.

يقول تعالىٰ: وكما أهلكنا أولئك القرون الظالمة المكذّبة لرسلنا، كذلك نفعل بنظائرهم وأشباههم وأمثالهم إن أخذه أليم شديد.

وفي الصحيحين[3] عن أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته» ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿**وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد**﴾.

إن في ذلك الآية، إلى تمام الآيات: ﴿**فمنهم شقي وسعيد**﴾.

يقول تعالىٰ: إن في إهلاكنا الكافرين، ونصرة الأنبياء وإنجائنا المؤمنين لآية أي عظة واعتباراً على صدق موعودنا في الدار الآخرة، ﴿**إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد**﴾[4] وقال تعالىٰ: ﴿**فأوحى إليهم ربّهم لنهلكنّ الظالمين * ولنسكننكم الأرض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد**﴾[5].

---

(1) سورة هود آية 13.

(2) التفسير الكبير للفخر الرازي مج (17 - 18) ح 17 ص 202 - 203.

(3) البخاري تفسير سورة هود، ومسلم كتاب البر باب (تحريم الظلم).

(4) سورة غافر آية 51.

(5) سورة ابراهيم آيتا 13 - 14.

وقال تعالىٰ: ﴿ذلك يوم مجموع له الناس﴾ أي أولهم وآخرهم فلا يبقى منهم أحد كما قال: ﴿وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً﴾[1] ﴿وذلك يوم مشهود﴾ أي يوم عظيم تحضره الملائكة كلهم، ويجتمع فيه الرسل جميعهم، وتحشر فيه الخلائق بأسرهم، من الإنس والجنّ والطير والوحوش والدواب، ويحكم فيهم العادل الذي لا يظلم مثقال ذرة، وإن تك حسنة يضاعفها.

وقوله: ﴿وما نؤخره إلا لأجل معدود﴾ أي: ما نؤخر إقامة يوم القيامة إلا لأنه قد سبقت كلمة الله، وقضاؤه وقدره، في وجود أناس معدودين من ذرية آدم، وضرب مدة معينة إذا انقضت وتكامل وجود أولئك المقدر خروجهم من ذرية آدم، أقام الله الساعة ولهذا قال: ﴿وما نؤخره إلا لأجل معدود﴾ أي: لمدة مؤقتة لا يزاد عليها ولا ينقص منها.

﴿يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه﴾ يقول: يوم يأتي هذا اليوم وهو يوم القيامة لا يتكلم أحد إلا بإذن الله تعالىٰ كما قال تعالىٰ: ﴿يوم يقوم الروح والملائكة صفّاً لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وخشعت الأصوات للرحمٰن فلا تسمع إلا همساً﴾[3]، وفي الصحيحين[4] عن رسول الله ﷺ في حديث الشفاعة الطويل: «ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل، ودعوى الرسل يومئذ: اللهم سلّم سلّم».

وقوله: ﴿فمنهم شقي وسعيد﴾ أي: فمن أهل الجمع شقيّ ومنهم سعيد كما قال: ﴿فريق في الجنة وفريق في السعير﴾[5].

وقال الحافظ أبو يعلى في مسنده: حدثنا موسى بن حيّان، حدثنا عبد

---

(1) سورة الكهف آية 47.
(2) سورة النبأ آية 38. (3) سورة طه آية 108.
(4) البخاري، كتاب الصلاة، باب «فضائل السجود» ـ ومسلم كتاب الإيمان باب (معرفة طريق الرؤية).
(5) سورة الشورى آية 7.

الملك بن عمرو حدثنا سليمان بن سفيان، حدثنا عبد الله بن دينار عن ابن عمر، عن عمر ـ رضي الله عنه ـ قال: لما نزلت: ﴿فمنهم شقي وسعيد﴾ سألت النبيّ ﷺ قلت: يا رسول الله، علام نعمل؟ على شيء قد فرغ منه، أم على شيء لم يفرغ منه؟.

فقال: «على شيء قد فرغ منه يا عمر وجرت به الأقلام، ولكن كلّ ميّسر لما خلق له»[1] ثم بيّن تعالىٰ حال الأشقياء، وحال السعداء فقال:

﴿فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق * خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد * وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربّك عطاء غير مجذوذ *﴾[2].

وإنما اخترت هذين المفسرين الجليلين لأن كلاً منهما يمثل مدرسة واتجاهها، ولأنه اجتمع في تفسيرهما وفيما ذهبا إليه من تأويل لهذه الآيات التي تناولها الداعية البهائي بهذيانه السخيف وتأويله الضال الوقح، جميع العناصر التي أردت إبرازها، والتي كانت سندهما في التفسير والتأويل من قرآن كريم وسنة نبوية، ومن لغة عربية صحيحة، وعقل واع رشيد، ومن إيمان صادق ثابت، وميزان مستقيم.

وإن كانت هذه العناصر قد اجتمعت في غيرهما من عديد المفسرين والمؤولين، إلا أن صعوبة الاستشهاد بجميعهم قادني إلى اختيارهما، وإلى الاقتصار على الاستشهاد بهما، لمحو ـ كما تقدم أن قلت ـ ما عسى أن يعلق بذهن السامع أو القارىء من تفسير وتأويل البهائيين الذي سنده الهوى الآثم والكذب على الحق والافتراء على الله.

وبهذا أختم الفصل وأكتفي بما بينت وأوضحت.

(1) تفسير الحافظ ابن كثير ج 4 ص 278 - 280.
(2) سورة هود آيات 106 - 107 - 108.